دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة

إعداد

د/عادل راشد مناحي الدماك

معلم التربية الإسلامية بوزارة التربية بدولة الكويت

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، مُحَمَّد بن عبد الله النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فإن الإسلام قد حث على عمارة الأرض والاستفادة من مواردها على نحوٍ أمثل يضمن بقاء تلك الموارد وعدم نضوبها. قال الله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾(١)، وقال نبينا الكريم ﷺ: "**إن قامت على أحدكم القيامةُ وفي يده فَسِيلة، فليغرسْها**"(٢).

والتنمية المستدامة أحد أهم متطلبات عمارة الأرض؛ وذلك لحرصها الشديد على الموارد الطبيعية والحفاظ على البيئة.

ولقد تقرر لدى كل عاقل أن التنمية هي غاية كل المجتمعات الحديثة؛ من أجل تحقيق الاكتفاء لشعوبها، وسعيًا إلى مستوى حياتي يُتيح العيش بكرامة لكل فرد من أفراد المجتمع، دون اللجوء إلى ذل الحاجة والطلب من ناحية، أو الهجرة الاختيارية أو الإجبارية من ناحية أخرى. ولقد قرر علماء

---

(١) سورة هود، الآية (٦١).

(٢) المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، (٢٥١/٢٠)، رقم (١٢٩٠٢). وصحح إسناده الحافظ الضياء المقدسي في المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، دراسة وتحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، (٢٦٢/٧)، وزين الدين المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م، (١٢/٢)، والتيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، (٣٧٢/١).

الشريعة أنها جاءت بالمحافظة على الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. يقول الإمام الشاطبي: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس؛ وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. وعلمها عند الأمة كالضروري"(٣).

وكذلك جاءت الشريعة بالحفاظ على مكملاتها فيما يعرف بـ"المقاصد الحاجيَّة" و"المقاصد التحسينية". وهذه المحافظة لا تتحقق للأفراد بمعزلٍ عن المجتمع، وإنما تتحقق من خلال استغلال موارد الوطن، وتنميتها، وهو ما يتقابل مع مفاهيم التنمية الحديثة المعروفة باسم "التنمية المستدامة"(٤).

وقد شهد العالم خلال العقود الثلاثة الماضية إدراكًا متزايدًا بأن نموذج التنمية الحالي لم يعد مستدامًا، بعد أن ارتبط نمطُ الحياة الاستهلاكي المنبثق عنه بأزمات بيئية خطيرة؛ مثل فِقْدان التنوع البيئي، وتقلُّص مساحات الغابات المدارية، وتلوث الماء والهواء، وارتفاع درجة حرارة الأرض "الدفء الكوني"، والفيضانات المدمرة الناتجة عن ارتفاع منسوب مياه البحار والأنهار، واستنفاد الموارد غير المتجددة؛ مما دفع المؤسسات الدولية إلى الدعوة إلى نموذج تنموي بديل مستدام يعمل على تحقيق الانسجام بين تحقيق الأهداف التنموية من جهة، وحماية البيئة واستدامتها من جهة أخرى.

وقد حددت الأمم المتحدة (١٧) هدفًا للتنمية المستدامة، إذا أمكن تحقيق تلك الأهداف أمكن تحقيق التنمية المستدامة بشكل تلقائي. وقد صدرت هذه الأهداف في ١ يناير ٢٠١٦م،

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي، شرحه وخرج أحاديثه: الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (٣٨/١).

(٤) التنمية المستدامة وعلاقتها بفقه المصالح، د.مُحَمَّد صلاح حلمي سعد، حولية كلية الدراسات الإسلامية بنين، أسوان، العدد الثاني، ربيع الأول، ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م، (ص٨٦٣).

وبدأ رسميًّا سريان أهداف التنمية المستدامة الـ(١٧) لخطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م، التي سبق وأن اعتمدها قادة العالم في سبتمبر ٢٠١٥م في قمة أممية تاريخية.

وقد اعتمدت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في عام ٢٠١٥م أهداف التنمية المستدامة (SDGs)، والتي تُعرف أيضًا باسم "الأهداف العالمية"، باعتبارها دعوة عالمية للعمل على إنهاء الفقر وحماية الكوكب وضمان تمتُّع جميع الناس بالسلام والازدهار بحلول عام ٢٠٣٠م.

وهذه الأهداف هي:

"**القضاء على الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة والرفاهية، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين، والمياه النظيفة والنظافة الصحية، وطاقة نظيفة وبأسعار معقولة، والعمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والحد من أوجه عدم المساواة، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة، والاستهلاك والإنتاج، والعمل المناخي، والحياة تحت المياه، والحياة في البر، والسلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف**"(٥).

وانطلاقًا من مفهوم الإسلام لعمارة الأرض وما يتطلبه ذلك من تحقيق التنمية المستدامة؛ نجد أن السنة النبوية قد اشتملت على أصول وأحكام تعد قواعد أساسية لتحقيق التنمية المستدامة، ويأتي هذا البحث من أجل بيان دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية البحث في الأمور التالية:

١- ضرورة تطبيق متطلبات التنمية المستدامة في المجتمع الإنساني في ظل الاستنزاف الحاد للموارد الطبيعية.

(٥) الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

٢- ضرورة حفظ حق الأجيال القادمة في موارد الطبيعة والبيئة وحمايتها من النضوب وذلك من خلال التنمية المستدامة.

٣- اهتمام الإسلام بالحفاظ على الطبيعة والبيئة وحمايتها من العبث والعدوان.

٤- اشتمال السنة النبوية على كثير من المبادئ والأحكام المرتبطة بالتنمية المستدامة والتي من شأنها إذا ما طُبقت بشكل رشيد صحيح أن تؤدي إلى ما تصبو إليه التنمية المستدامة.

أهداف البحث:

يهدف البحث في تحقيق النتائج الآتية:

١- بيان دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف السياسية للتنمية المستدامة.

٢- إبراز دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف الاقتصادية للتنمية المستدامة.

٣- تجلية دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة.

منهج البحث:

استخدم البحث المنهج التحليلي الاستنباطي التأصيلي في بحث دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة؛ وذلك على النحو التالي:

التمهيد: التعريف بالتنمية المستدامة.

المبحث الأول: دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف السياسية للتنمية المستدامة.

المبحث الثاني: دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف الاقتصادية للتنمية المستدامة.

المبحث الثالث: دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة.

خاتمة البحث: وفيها نتائج البحث.

وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

التمهيد
التعريف بالتنمية المستدامة

يتباين مفهوم التنمية المستدامة بين الدول النامية والدول المتقدمة، ففي الوقت الذي تنظر فيه الأخيرة إلى التنمية المستدامة على أنها إجراء تخفيضات في استهلاكها من الطاقة والموارد الطبيعية، وتخفيض تجاربها النووية والأدخنة المتصاعدة من مصانعها، فإن الدول النامية تنظر إلى التنمية المستدامة على أنها توظيف الموارد من أجل رفع مستوى رفاهية السكان.

ولكي تكون التنمية مستدامة يجب أن:

١- تهيئ التنمية للجيل الحاضر متطلباته الأساسية والمشروعة، دون أن تُخل بقدرة المحيط الطبيعي على أن يهيئ للأجيال التالية متطلباتهم.

٢- تراعي المحددات البيئية والشروط الواجب مراعاتها فيما يتعلق بالبيئة الطبيعية، وألا تؤدي إلى استنزاف موارد البيئة، وتكون ضامنة لحقوق الأجيال القادمة.

٣- أن تؤدي إلى رفع مستويات المعيشة بالنسبة للأجيال الحالية، وتطوير المستويات المعيشية المتعلقة بكافة جوانب الحياة "السكن، المؤسسات الصحية، المؤسسات التعليمية، المؤسسات الخدمية"(٦).

فـ"التنمية المستدامة Sustainable Development" -حسب منظمة الأمم المتحدة- هي:

"**تلبية احتياجات الحاضر، دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة**"(٧).

---

(٦) الدور الجغرافي في تحقق التنمية المستدامة، د.حسن عليوي ناصر الزيادي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد (١٢)، حزيران ٢٠١٣م،، (ص٤٦٠).

(٧) اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية لعام ١٩٨٧م، الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

فالتنمية بشكل عام تهدف إلى الارتقاء بالإنسان نحو الأفضل وإشباع رغباته المادية والمعنوية وفق خطط معدَّة سلفًا، وهذا ما يميزها عن مفهوم التغير الذي يحدث بصورة تلقائية وفي أي اتجاه. كما تختلف التنمية عن مفهوم النمو الذي غالبًا ما تختص به الدول المتقدمة التي قطعت أشواطًا بعيدة في المجال التنموي.

وفي عام ١٩٨٣م طلب الأمين العام للأمم المتحدة من رئيسة وزراء النرويج آنذاك تشكيل لجنة للبحث عن أفضل السبل التي تمكِّن كوكبنا الذي يشهد نموًّا سكانيًّا متسارعًا من أن يستمر في الإيفاء بالاحتياجات الأساسية من خلال صياغة افتراضات عملية تربط قضايا التنمية بالعناية بالبيئة والمحافظة عليها، وترفع من مستوى الوعي العام بالقضايا ذات الصلة بالموضوع. ومع نشر "الوكالة العالمية للبيئة والتنمية" لتقريرها "مستقبلنا المشترك" في عام ١٩٨٧م، الذي جاء متزامنًا مع الصدمة البيئية الأكبر للرأي العام العالمي المتمثلة في اكتشاف ثقب الأوزون فوق القارة المتجمدة الجنوبية، والتي دفعت إلى الاتفاق في نفس العام على بروتوكول مونتريال لمعاهدة فيينا حول حماية طبقة الأوزون؛ بهدف تنظيم استخدام وإطلاق المواد المستنفدة للأوزون، أصبح مفهوم "التنمية المستدامة" مفهومًا محوريًّا للتفكير الدولي المستقبلي. ومن ثم يمكن القول بأن هذه التطورات المقلقة والشعور بأن بقاء البشر ومصيرهم مرتبطان ببقاء ومصير الكائنات الحية الأخرى، وكذلك باستمرار كوكب الأرض ومنظوماته مكانًا صالحًا للحياة، فضلًا عن الإدراك العالمي لمدى ما وصلت إليه الأمور من سوء منذ عام ١٩٧٣م، قد أسهمت بشكل مباشر في انعقاد أول قمة بيئية عالمية من نوعها هي قمة الأرض في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية عام ١٩٩٢م(٨).

وتكمن أهمية أول قمة للأرض في ريو دي جانيرو في أنها قد وضعت حجر الأساس لرؤية عالمية جديدة عن البيئة، محولة الأجندة الكونية إلى التنمية المستدامة، من خلال إثارة اهتمام الرأي العام العالمي بالعلاقة المتبادلة بين الأبعاد البيئية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية

(٨) التنمية المستدامة: استغلال الموارد الطبيعية والطاقة المتجددة، لحمزة الجبالي، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عَمَّان، ٢٠١٦م، (ص٥٠).

للتنمية، كما مهدت الطريق أمام مفهوم التنمية المستدامة لاختراق الخطاب الاقتصادي والسياسي. ففي تلك القمة ألزم المجتمع الدولي نفسه بمفهوم التنمية المستدامة، وقام بالفعل بصياغة قانون دولي بيئي، فمثلًا تلزم مادة (٢٧) من إعلان ريو حول التنمية والبيئة الدول والشعوب بتطوير "قانون دولي في مجال التنمية المستدامة". كما تنعكس الخطوط العريضة لطبيعة ومحتوى القانون الدولي في مجال التنمية المستدامة بشكل واضح في اتفاقيتين تم تبنيهما في مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة والتنمية، وهما "اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغير المناخي"، و"اتفاقية التنوع البيئي"، اللتان تمثلان أدوات قانونية دولية لمعالجة المسائل الاقتصادية والبيئية بأسلوب متكامل(٩).

وقد حدَّد الحق تبارك وتعالى مهمة الإنسان الحضارية في هذا الكون بقوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(١٠). وهذا يعني أن الله قد كلَّف الإنسان بإعمار الأرض وصنع الحضارة فيها، ويعني ذلك بدوره: تمهيد الأرض وتحويلها إلى حالٍ يجعلها صالحة للعيش فيها والانتفاع بخيراتها. والاستعمار في الآية الكريمة هو طلب العمارة(١١).

(٩) إعلان ريو: تضمن (٢٨) مبدأ ركز فيها على التنمية المستدامة، حيث نجد في المبدأ الأول من الإعلان "أن البشر يقعون في صميم الاهتمامات المتعلقة بالتنمية المستدامة"، وينص المبدأ الثالث على أنه "يتوجب إعمال الحق في التنمية حتى يفيَ بشكل منصف الاحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة". كما نجد في المبدأ الرابع "أنه من أجل تحقيق تنمية مستدامة تكون حماية البيئة جزءًا لا يتجزأ من عملية التنمية، ولا يمكن النظر إليها بمعزل عنها". بينما ينص المبدأ التاسع "على أنه ينبغي أن تتعاون الدول في تعزيز بناء القدرة الذاتية على التنمية المستدامة، بتحسين التفاهم العلمي عن طريق تبادل المعارف العلمية والتكنولوجية". وينص المبدأ العشرون على أن "للمرأة دور حيوي في إدارة التنمية البيئية، ولذلك فإن مشاركتها أمر أساسي لتحقيق التنمية المستدامة".

(١٠) سورة هود، الآية (٦١).

(١١) لا علاقة لهذا المصطلح بالمعنى السلبي الذي شهدناه في عهود الاحتلال الأجنبي لعالمنا الإسلامي وغير الإسلامي، والذي يرتبط في الأذهان بمعاني التخريب والسلب والنهب والاستغلال الشنيع للأرض وللإنسان.

ومن يتدبَّر السنة الشريفة يجد أن النبي ﷺ حثَّنا على الإعمار والإصلاح في كل وقت وحينٍ؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "**ما مِن مسلم يغرِس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**"(١٢). وقال رسول الله ﷺ: "**مَن أحيا أرضًا ميتة، فهي له**"(١٣). وروى الإمامُ أحمد في مسنده، والبخاريُّ في الأدب المفرد عن أنسِ بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا قامت الساعةُ وفي يدِ أحدكم فسيلةٌ، فإن استطاع ألا يقومَ حتى يغرِسَها فليفعل**"(١٤).

ولكي يكتملَ إعمار الأرض لا بد مِن العمل الدؤوب لتحقيق ذلك. وأكَّدت السنة النبوية على ذلك؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن الزبير بن العوام ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ قال: "**لأن يحتطب أحدُكم حزمة على ظهره، خيرٌ له مِن أن يسأل الناسَ، أعطَوْه أو منعوه**"(١٥).

إن الجنسَ البشري على وجه العموم مطالب بإعمار هذه الأرض، والمسلم –على وجه الخصوص– واجبٌ عليه ذلك؛ من الناحية الإيمانية، ومن الناحية الإنسانية، فنفعُ المسلم يتعدَّاه إلى غيره من الناس جميعًا، على اختلاف مِلَلِهم ونِحَلِهم، وهو مطالَبٌ بالتعايش مع البشر جميعًا في إطارٍ مِن التعاون الإنساني، والتعارف الذي لا يُخِلُّ بواجباته نحو خالقه سبحانه وتعالى.

---

(١٢) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، كتاب: المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أُكِل منه، (٣/ ١٠٣)، رقم (٢٣٢٠).

(١٣) السنن، للإمام أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، أبواب الأحكام، باب: ما ذكر في إحياء أرض الموات، (٣/ ٦٥٤)، رقم (١٣٧٨). قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

(١٤) سبق تخريجه.

(١٥) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٣/ ٥٧)، رقم (٢٠٧٤).

ومن خلال هذا المفهوم الإسلامي لعمارة الأرض، يمكن تعريف التنمية المستدامة وفق المنظور الإسلامي يظهر منه سمات وطبيعة الحياة التي أراد الله تعالى للإنسان أن يحياها، ويسعى للوصول إليها بعمله واجتهاده، وهو:

"**السعي للارتقاء بحياة الناس ماديًّا وروحيًّا بما يسعدهم في دنياهم وأخراهم، وفق السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الحياة، من غير إفساد أو إضرار أو إهدار للموارد، وبما يضمن حظوظ الأجيال كلها حاضرها ومستقبلها؛ حتى يتحقق لهم التكريم اللائق بهم**"(١٦).

فالتنمية المستدامة وفق الرؤية الإسلامية: سعي وعمل دؤوب للوصول إلى حالة الإشباع المحَقِّقة لسعادة البشر، وفق سنن كونية وضعها الله سبحانه وتعالى، تنمية متوازنة وشاملة لا يطغى فيها جانب على آخر، فهي تنمية اقتصادية واجتماعية وإنسانية وبيئية وتقنية وإدارية، وهي تنمية مادية وروحية، تنمية تشاركية لا يُقصى فيها أحد، ولا يُحرم من ثمارها أحد، تنمية تحافظ على البيئة من التلوث والعبث والهدر، تنمية تعطي للأجيال الحاضرة حقها من غير إجحاف بحقوق الأجيال القادمة، تستخدم فيها أفضل الوسائل والسبل لتحقيق الاستثمار الأمثل للموارد المادية والبشرية في العمليات التنموية، ولاعتماد مبادئ العدالة في الإنتاج والتوزيع والعوائد، تنمية غايتها القصوى هي الإنسان كل الإنسان، فهي تسعى إلى الارتقاء المستمر به، حيث تقوم بتأهيله وإعداده ليقوم بعملية التنمية المنشودة من أجل تحقيق الرفاهية له في حياته، والوصول به إلى التكريم الذي أراده الله له في هذه الحياة مُصْطَلِحًا فيها مع الله تعالى مُجْتَنِبًا لما حرمه الله تعالى ونهى عنه(١٧).

---

(١٦) الرؤية الإسلامية للتنمية بإيجاز، سلسلة: التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي، الحلقة السادسة، موقع الجمعية الشرعيةالرئيسية:

https://www.alshareyah.com

(١٧) الرؤية الإسلامية للتنمية المستدامة، سلسلة: التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي، الحلقة الثالثة، موقع الجمعية الشرعيةالرئيسية:

https://www.alshareyah.com

وختامًا تجدر الإشارة إلى أنه لم يرد مصطلح "التنمية" في نصوص القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، إنما ورد ما يدل على مفهومها ومعناها السابق الإشارة إليه، ويمكن الوقوف على ثلاثة مصطلحات لها علاقة وثيقة بالتنمية، وهي: مصطلح "الإعمار"، ومصطلح "الاستخلاف"، ومصطلح "الإصلاح".

المبحث الأول

دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف السياسية للتنمية المستدامة

يرتبط مفهوم التنمية المستدامة بانتقال النظم السياسية من نظم تُوصف بـ"التقليدية" إلى نظم سياسية "حديثة"، أي إذا كان هناك من الناحية الاقتصادية أنظمة في طور النمو، فإن هناك أنظمة سياسية في طريق الإصلاح والتحديث(١٨).

ولتحقيق الأهداف السياسية للتنمية المستدامة –من خلال قراءتي لأهداف خطة التنمية المستدامة للأمم المتحدة– لابد من تحقيق ثلاثة أمور هي:

أولا: تحقيق السِّلْم والأمن والعدل على المستوى العالمي:

جاء الهدف (١٦) من أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة بعنوان: "التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة". وتعني به: "لا يُهمّش فيها أحد من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعّالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات. ولا يزال التقدّم المحرز في تعزيز السلام والعدالة، وفي بناء مؤسسات فعّالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع متفاوتاً عبر المناطق وداخلها، وتتناقص ببطء جرائم القتل، كما أن مزيداً من المواطنين في جميع أنحاء العالم باتوا يتمتعون بإمكانية أفضل للوصول إلى العدالة، بيد أن الصراعات العنيفة زادت في السنوات الأخيرة، وتسبب عدد من الصراعات المسلحة الشديدة الحدّة في وقوع أعداد كبيرة من الضحايا المدنيين وأخرج ملايين الناس من ديارهم، وينتشر التفاوت على نطاق واسع: تشير البيانات إلى أن البلدان التي تعاني من ارتفاع التفاوت في الدخل تعاني أيضاً من ارتفاع مستويات العنف. كما أن البلدان والأقاليم الأكثر فقراً تميل إلى أن تكون مصدراً لضحايا الاتجار بالبشر وهي أكثر تعرّضاً للفساد. ولمجابهة ذلك، يجري وضع أطر

(١٨) دور الأحزاب السياسية في التنمية السياسية المحلية: دراسة حالة أحزاب التحالف الرئاسي في ولاية معسكر، د. عبد الفتاح كمال، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م، (ص٦٣).

ومؤسسات قانونية على سبيل المثال، بشأن الحصول على المعلومات وتعزيز حقوق الإنسان، ولكن التنفيذ لا يتحقق دائمًا"(١٩).

وتنص المادة (١) من ميثاق الأمم المتحدة على أن "مقاصد الأمم المتحدة هي: ١- حفظ السِّلْم والأمن الدولي. وتحقيقًا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعَّالة لمنع الأسباب التي تهدد السِّلْم ولإزالتها، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسِّلْم، وتتذرَّع بالوسائل السِّلْمية، وفقًا لمبادئ العدل والقانون الدولي؛ لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسِّلْم أو لتسويتها...".

وكان الدافع الرئيسي لإنشاء منظمة الأمم المتحدة إنقاذ الأجيال القادمة من ويلات الحروب، حيث شهد مؤسسو المنظمة الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الأولى والثانية. ومنذ إنشاء الأمم المتحدة، كثيرًا ما طُلب منها القيام بمهمة منع تصعيد الخلافات ووقف الحروب، أو المساعدة في استعادة السلام عندما ينشب الصراع المسلح، وتعزيز السلام الدائم في المجتمعات التي انتهت من الحرب، ومجلس الأمن وغيره(٢٠).

وإن مفهوم تهديد السِّلْم قد شهد تطورات كبيرةً، فبعد أن كان السِّلْم الدولي يقتصر على سِلْم الدول من العدوان، تطور اليوم ليشمل تهديداتٍ وتحدياتٍ جديدة أكثر وأشد تعقيدًا. فاليوم وجب النظر إلى تهديد السِّلْم والأمن الدولي بنظرة أكثر عمقًا تتمثَّل في حماية حياة البشر والمجموعات الإنسانية من كلِّ ما يُهددها، بعد أن عجز المفهوم التقليدي للأمن عن التعامل مع

(١٩) أهداف التنمية المستدامة، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي:
https://uncitral.un.org
وخطة عام ٢٠٣٠م، خفض جميع أشكال العنف، الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة:
https://www.un.org/ar

(٢٠) صون السلم والأمن الدوليين، منظمة الأمم المتحدة:
https://www.un.org/ar

القضايا الجديدة التي أضحت تهدد السِّلْم والأمن الدوليين كتلوُّث البيئة والاحتباس الحراري والتغيرات المناخية التي تمثل الشكل الحديث لتهديد الأمن الدولي(٢١).

وترى منظمة الأمم المتحدة(٢٢) أن إطار التنمية المستدامة الجديد يجب أن يُعزِّز -ليس الاستدامة والحدَّ من الفقر فحسب-، وإنما أيضًا -وعلى نحو حاسم- قيام المجتمعات المسالمة والعدل والحوكمة الرشيدة. فلا يمكن أن نحقق القضاء على الفقر والتنمية المستدامة دون معالجة النزاعات وانعدام الأمن؛ إذ إن هناك فجوة كبيرة تزداد اتساعًا في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية بين الدول المتضررة من مستويات مرتفعة من العنف والبلدان النامية الأخرى(٢٣).

فالعنف وانعدام الأمن مسألتان كونيتان تؤثران على رفاه الناس في جميع البلدان، وليس فقط في البلدان المتضررة من النزاعات(٢٤).

وفي الإسلام، نجد أن المادة المشتق منها اسم الإسلام هي "السِّلْم"؛ وذلك لأن الإسلام جاء بالخير للناس. وقد بينت السنة النبوية أن: "**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**"(٢٥).

---

(٢١) السلم والأمن الدوليين: دراسة على ضوء أحكام ميثاق الأمم المتحدة، لحاج محمد صالح شعبان صوفيان، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد (١١)، العدد (١)، ٢٠١٨م، (ص١٩٥).

(٢٢) الهدف (١٦) التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يُهمَّش فيها أحد من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعَّالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات، للكاتبتَيْن: لاري أتري وأنا مولر-لوسويك، موقع منظمة الأمم المتحدة: **https://www.un.org/ar**

(٢٣) فريق عمل منظومة الأمم المتحدة المعني بخطة الأمم المتحدة للتنمية لما بعد عام ٢٠١٥م والسلام والأمن، مقال مواضيعي، مكتب الأمم المتحدة لدعم بناء السلام، (ص٥).

(٢٤) إعلان جنيف بشأن العنف المسلح والتنمية، المزيد من العنف، تنمية أقل: النظر في العلاقة بين العنف المسلح وتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، جنيف، ٢٠١٠م، (ص٤).

(٢٥) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (١١/١)، رقم (١٠).

وأصول العلاقات في الإسلام بعيدة كلَّ البُعد عن الطائفية والعنصرية، فالإسلام يحترم الإنسان لذاته لا لجنسه أو لغته أو عقيدته، فالناس جميعًا أمة واحدة، متساوون في الحقوق والواجبات. يقول النبي ﷺ: "**كلكم لآدم، وآدم من تراب**"(٢٦).

فأصل العلاقة بين الناس هو الأخوة والسِّلْم والألفة والمودة والتعاون على البر والتقوى، هذا ما قرره الإسلام، ودعا إليه، وحذَّر من التفريط فيه.

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة عاهد النبي ﷺ على السِّلْم في أول مَقدَمِه، واعتُبرت هذه الوثيقة أولَ دستور إسلامي للمواطنة، فكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادَع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم، وهو ما سمي بـ"صحيفة المدينة"، وكان مما جاء فيها: "**صحيفة المدينة: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمَّد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. إنهم أمة واحدة من دون الناس...**".

وقد جاءت السنة النبوية داعيةً إلى السلام والأمن وعدم نشر الحرب والدماء، فجعلت السلام تحية المسلمين، وحثَّ النبيُّ ﷺ على إفشاء السلام بين المسلمين فقال ﷺ: "**أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**"(٢٧).

ومكث النبي ﷺ أكثر من نصف زمن النبوة لا يحارب الناس، بل يصبر على إيذائهم، وحين يشتكي الصحابة ﷺ ضعفَهم وقلَّة حيلتهم وهوانهم على الناس ويستأذنون الرسول ﷺ في قتال الكافرين يرفض قائلًا: "**إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالٍ**"(٢٨).

---

(٢٦) السنن، للترمذي، كتاب: أبواب المناقب، باب منه، (٥/٧٣٥)، رقم (٣٩٥٦). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢٧) السنن، للترمذي ، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبَّة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، (١/٧٤)، رقم (٥٤).

(٢٨) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للحافظ جمال الدين أبي محمَّد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م،

كما لم يثبت أن النبي ﷺ بدأ المشركين بحرب بغتة أو فجأة، بل وضع النبي ﷺ أولَ دستور مدني في تاريخ البشرية وهو المسمى بـ"وثيقة المدينة"، فقد كانت الدول قبل دولة النبي ﷺ على مِلَّة واحدة، لا تقبل تعدد العقائد، بل ربما لم تقبل العرقيات والمذهبية، حتى جاء النبي ﷺ ووضع دولته في المدينة، فوضع دستور المواطنة الذي يكفُل لكل المواطنين في دولة الإسلام حقهم في العيش بحرية، ما لم يخونوا الدولة التي يعيشون فيها، وقد كان يسكن المدينة آنذاك أعراق متباينة ويتجاور فيها عقائد مختلفة، فهناك الأوس والخزرج واليهود الذين نزحوا إلى المدينة بعد انهيار سد مأرب باليمن، وقد كان فيها من العقائد: الإسلام ومعه اليهودية والنصرانية وعبادة الأوثان والأصنام، فنشأت أول دولة في تاريخ البشرية تقبل التعددية العرقية والتعددية الدينية تحت ظلال الإسلام دين السلام.

وقد أكدت السنة النبوية على حماية الكرامة الإنسانية، يقول رسول الله ﷺ: "**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ**"(٢٩).

ثانيا: التعاون والتكامل الإنساني:

الهدف (١٧) من أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة بعنوان: "**تعزيز وسائل التنفيذ وتنشيط الشراكة العالمية من أجل تحقيق التنمية المستدامة**". وتعني به: "هناك حاجة إلى التزام أقوى بالشراكة والتعاون لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، فتحقيق هذه الأهداف سيتطلب سياسات متماسكة وبيئة مواتية للتنمية المستدامة على جميع المستويات ومن جانب جميع الأطراف

تفسير سورة الحج، (٣٨٧/٢)، رقم (٨٢١). قال الزيلعي: "غريب جدًّا، وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين". وينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، قدَّمه وقرَّظه: د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، (٨٢/٢).

(٢٩) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: العلم، باب: قول النبي ﷺ: "**رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**"، (٢٦/١)، رقم (٦٧)، والمسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م ،كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، (٨٨٦/٢)، رقم (١٢١٨).

الفاعلة، كما يتطلب تنشيط الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة. وتحقيقاً لهذه الغاية، حدّدت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة المجالات التالية باعتبارها حاسمة: تعبئة الموارد، والتكنولوجيا، وبناء القدرات، والتجارة، والتماسك في السياسات والمؤسسات، والشراكات بين أصحاب المصلحة المتعدّدين، ورصد البيانات والمساءلة. ويعتبر تحقيق وسائل تنفيذ الأهداف أمراً أساسياً لتحقيق خطة التنمية المستدامة، وكذلك التنفيذ الكامل لخطة عمل أديس أبابا. وقد أحرز تقدّم تدريجي في هذه المجالات، ولكن هناك حاجة إلى المزيد"(٣٠).

وتوجب الإنسانية على بني الإنسان التعاون والتكامل فيما بينهم، على اختلاف دياناتهم، وعلى اختلاف عروقهم، وعلى اختلاف جنسهم من الذكورة والأنوثة. فالإنسانُ مدنيٌّ بطبعه، لا يستطيع أن يصلَ إلى الكمال منفردًا منعزلًا عن بقية بني الإنسان، فلا يحصل التكامل إلا بالتعاون والتكافل متعدد الأشكال، وعلى رأسه التعاون والتكافل المبني على التكامل الحضاري.

ولقد أدرك العالم بعد أن خاض حربين عالميتين أهمية التعايش مع هذا التنوع، وقد جاء تأسيس الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة تحقيقًا لمبدأ التعايش السلمي بين المجتمعات والثقافات، كما شهد العالم عبر منظماته الدولية والمدنية سعْيًا حثيثًا نحو إبرام عددٍ من الاتفاقيات في مجالات مختلفة مثل: حقوق الإنسان، والطفل والمرأة، جنبًا إلى جنب مع الاتفاقيات التي تنظِّم التجارة الدولية، وقد هدفت هذه الاتفاقيات إلى خلْقِ تعاونٍ وتفاعلٍ بين الحضارات المختلفة(٣١).

---

(٣٠) أهداف التنمية المستدامة، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي:
https://uncitral.un.org
وخطة عام ٢٠٣٠م، خفض جميع أشكال العنف، الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة:
https://www.un.org/ar

(٣١) ينظر: في ضرورة التكامل الحضاري، د. أحمد زايد، جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٧م:
https://gate.ahram.org.eg

ولذلك نجد أن الإنسانية في حاجةٍ ماسَّة إلى التعاون والتكامل فيما بينها في مواجهة المخاطر التي تواجهها مثل: الفقر، والبطالة، والحروب، ومحو الأمية، وغير ذلك من الأمور المعيقة بشكل قوي لمسار التنمية المستدامة.

ويجب أن يستهدف التعليم المجاني التنمية الكاملة لشخصية الإنسان؛ بأن ينميه أخلاقيًّا، ونفسيًّا، بحيث يستطيع بهذا التعليم أن يواجه صعوبات الحياة، ولا يكون هذا التعليم لزراعة أفكار معينة تعادي الإنسانية، كالأفكار التي تتبناها بعض المدارس والتي تقوم على تخطئة جميع الأفكار المخالفة، والتصادم والشقاق والخلافات، والتي تودي في كثير من الأحيان إلى الحروب الأهلية في هذه المجتمعات(٣٢).

كما يشمل هذا المبدأ غرْس قيم التسامح مع الجميع، فيتعامل بالتسامح مع كل أحد من أفراد المجتمع، وأن يتعامل بالصداقة مع جميع الأمم، فلا يخص صداقته أمة دون أمة، بل تشمل جميع الأمم، وجميع الفئات الدينية وغيرها، وأن للآباء على سبيل الأولوية حقَّ اختيار نوع التعليم الذي يُعطى لأولادهم، وهذا ما يسمى بمصطلح الولاية؛ أي: للأب ولاية في هذا الأمر؛ لأنه أرفقُ الناس بأولاده، وأعلمهم بما يصلح أمرهم، فاقتضى هذا المبدأ أن لا يقدم أحد عليهم في هذا الاختيار، وهذا المبدأ له أثر، وهو أن الأب أدرى بنوع التعليم الذي ينفع أولاده؛ فيعلمهم التعليم الذي يغرس فيهم قيم التسامح، وقبول الأفكار المخالفة والآراء التي لا تتفق مع ما يختاره، وهذا بخلاف ما لو وكل الأمر إلى غير الآباء فقد يعلمون ما يخالف هذه القيم الإنسانية، والتي يترتب عليها فيما بعد أن ينشأ هذا الطفل معاديًا لمجتمعه لا يحترم حريةً ولا رأيًا، بل ولا يرى رأيًا إلا رأيه، ولا حقًّا إلا ما يعتقده(٣٣).

---

(٣٢) الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

(٣٣) ينظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة (٢٦).

ومن ينظر فيما جاءت به السنة النبوية من تعاليم سامية، يجد أنها راعت التعاون والتكافل الإنساني والتعايش السلمي بين بني الإنسان، ومنع الاعتداء والعدوان على الغير، ونبذ الخلاف بين أفراد المجتمع الواحد، والعمل على الوحدة. كما جاءت شرعة الإسلام لترسي وترسخ في نفوس البشر أن ربهم واحد، وأباهم واحد، وأمهم واحدة، كل هذا وأضعافه ثابت مستقرٌّ في نصوص الوحيين: الكتاب والسنة.

إن التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع –بل وبين بني الإنسان– مبدأ إسلامي، فليس هو بمعزل عن المبدأ الإنساني، فالمبدآن يسيران معًا ليصلا إلى نتيجة واحدة، وهي ترسيخ مبدأ التعاون والتكافل الإنساني.

وقد جاءت السُّنة النبوية المطهرة مقررة لهذا المبدأ مرسخة له؛ يدل على ذلك: قول النبي ﷺ: "**كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**"[٣٤].

وقال ﷺ: "**على كل مسلم صدقة**". قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: "**يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق**". قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "**يعين ذا الحاجة الملهوف**". قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "**يأمر بالمعروف أو الخير**". قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: "**يمسك عن الشر فإنها صدقة**"[٣٥][٣٦].

([٣٤]) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، (٤/ ٣٥)، رقم (٢٨٩١).

([٣٥]) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الأدب، باب: كل معروف صدقة، (٨/ ١١)، رقم (٦٠٢٢).

([٣٦]) تأصيل التعاون الإنساني: الشراكة في العمل الإنساني من منظور الشريعة الإسلامية: دراسة شرعية تأصيلية، بقلم: أ.د.علي محيي الدين القره داغي، بتاريخ: ٥/ ٩/ ٢٠١٦م: **ttps://www.iumsonline.org/ar**

وقال النبي ﷺ: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا**"(٣٧).

فهذه الأحاديثُ الكريمة ظاهرها الإخبارُ ومعناه الأمر، وهي تحريضٌ على التعاون والتكافل الإنساني، فهي تدلُّ على الأهمية القصوى للتعاون والتكافل الإنساني، فكما أن البنيان لا يكتمل ولا يقوى ولا يقدر على البقاء والاستمرار أمام التحديات إلَّا إذا كان متماسكًا، فكذلك المؤمنون لا يمكن أن تتحقق قوتهم ويستمرَّ عطاؤهم إلَّا بالتعاون، وكذلك جميع بني البشر لا يمكنهم البقاء ولا الاستمرار أمام التحديات إلا بالتعاون والتكافل الإنساني.

ومما يدلُّ من السُّنة أيضًا: قول النبي ﷺ: "**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُربة فرَّج الله عنه كُربة من كُربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**"(٣٨). فهذا الحديث يربط النجاة في الآخرة بالقيام بحاجة المحتاجين في الدنيا، وعلى ضرورة التعاون على قضاء حوائج الناس.

ويقول النبي ﷺ: "**ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة**"(٣٩). فهنا دلالة على الأجر العظيم على أي تعاون أو تكافل للتيسير على المعسرين، فهذا الحديثُ عظيمٌ جامعٌ لأنواع من العلوم والقواعدِ والآداب، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفْعُهم بما يتيسر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك.

وقد أرشد الإسلام إلى أهمية التعارف بين جميع بني الإنسان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظمُ أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**"(٤٠). وهو نصٌّ صريحٌ من النبي ﷺ على أن الاختلاط

---

(٣٧) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، (٣/ ١٢٩)، رقم (٢٤٤٦).

(٣٨) الجامع الصحيح، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (٣/ ١٢٨)، رقم (٢٤٤٢).

(٣٩) المسند الصحيح لمسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٤/ ٢٠٧٤)، رقم (٢٦٩٩).

(٤٠) السنن، للحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق وترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، (٢/ ١٣٣٨)، رقم (٤٠٣٢)،

بالناس والتعامل معهم –بغض النظر عن إساءتهم– خيرٌ من الانعزال، وعدم المخالطة، وعدم الصبر على أذاهم.

ثالثا: بناء مؤسسات قوية:

لا قيام لمجتمع بدون مؤسسات تهتم بكل شؤونه، وتنوع السلطات واقع بتنوع حاجة الإنسان، والاختلاف بينها وارد. وأكبر ضمان لاستمرار هذه المؤسسات هو قوتها باستقلالها.

وبناء المؤسسات القوية يأتي ضمن الهدف الـ(١٦) من أهداف خطة التنمية المستدامة للأمم المتحدة المعنون باسم "السلام والعدالة وبناء المؤسسات القوية".

ومعنى هذا الهدف –وفقًا للجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي، التابعة للجمعية العامة: تشجيع إقامة مجتمعات سلمية وشاملة للجميع من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وتوفير إمكانية الوصول إلى العدالة للجميع وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات(٤١).

ومن مقاصد هذا الهدف ما يلي:

– الحد بدرجة كبيرة من جميع أشكال العنف وما يتصل به من معدلات الوفيات في كل مكان.

والمسند، لأحمد، (٩/ ٦٤)، رقم (٥٠٢٢). قال الحافظ ابن حجر: "أخرجه ابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر رفعه". ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، إشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م، (١٠/ ٥١٢).

(٤١) أهداف التنمية المستدامة، لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي: **https://uncitral.un.org**

وخطة عام ٢٠٣٠م، خفض جميع أشكال العنف، الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

– إنهاء إساءة المعاملة والاستغلال والاتجار بالبشر وجميع أشكال العنف ضد الأطفال وتعذيبهم.

– تعزيز سيادة القانون على الصعيدين الوطني والدولي وضمان تكافؤ فرص وصول الجميع إلى العدالة.

– الحد بقدر كبير من التدفقات غير المشروعة للأموال والأسلحة، وتعزيز استرداد الأصول المسروقة وإعادتها ومكافحة جميع أشكال الجريمة المنظمة، بحلول عام ٢٠٣٠.

– الحد بدرجة كبيرة من الفساد والرشوة بجميع أشكالهما.

– إنشاء مؤسسات فعالة وشفافة وخاضعة للمساءلة على جميع المستويات

– ضمان اتخاذ القرارات على نحو مستجيب للاحتياجات وشامل للجميع وتشاركي وتمثيلي على جميع المستويات

– توسيع وتعزيز مشاركة البلدان النامية في مؤسسات الحوكمة العالمية.

– توفير هوية قانونية للجميع، بما في ذلك تسجيل المواليد، بحلول عام ٢٠٣٠م.

– كفالة وصول الجمهور إلى المعلومات وحماية الحريات الأساسية، وفقًا للتشريعات الوطنية والاتفاقات الدولية.

– تعزيز المؤسسات الوطنية ذات الصلة، بوسائل منها التعاون الدولي، سعيًا لبناء القدرات على جميع المستويات، ولا سيما في البلدان النامية، لمنع العنف ومكافحة الإرهاب والجريمة.

– تعزيز القوانين والسياسات غير التمييزية لتحقيق التنمية المستدامة(٤٢).

وقد عرفت الدولة المسلمة عبر تاريخها فكرة المؤسسات القوية شأنها في ذلك شأن أية أمة متحضرة. وقد كان رسول الله ﷺ يدير المصالح ويعين كتابًا لإدارة الدولة، فكان عليه الصلاة والسلام يدير مصالح الناس في المدينة، ويرعى شؤونهم، ويحل مشاكلهم، وينظم علاقاتهم، ويؤمن

(٤٢) المعهد الدنماركي لحقوق الإنسان: الأهداف، المقاصد والمؤشرات، دليل حقوق الإنسان لأهداف التنمية المستدامة: **https://sdg.humanrights.dk/ar**

حاجاتهم، ويوجههم فيها لما يصلح أمرهم. وكل هذه من الشؤون الإدارية التي تيسر عيشهم دون مشاكل أو تعقيد:

وهكذا فإن الرسول ﷺ كان يدير مصالح المسلمين ويحل مشاكلهم الإدارية بسهولة ويسر، وكان يستعين ببعض الصحابة في ذلك، فكونت مصالح الناس مؤسسات يتولاها الخليفة أو يعين لها مديرًا كفؤًا يتولاه "الوالي أو الوزير"، تخفيفًا للعبء عن الخليفة، وبخاصة وقد تشعبت المصالح وكثرت. فظهر لدى المسلمين الأوائل مؤسسات مهمة مثل: بيت المال، والجيش، والشرطة، والمحتسبين، الدواوين... إلخ.

ومؤسسات الدولة في الإسلام نائبة عن رئيس الدولة في أداء مهامه؛ لذلك فاتباع إجراءاتها واجب قياسًا على طاعة ولي الأمر. ما جاء عن أبي هريرة ﷺ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من فارق الجماعة، وخرج من الطاعة، فمات، فميتته جاهلية، ومن خرج على أمتي بسيفه، يضرب برها وفاجرها، لا يحاشي مؤمنًا لإيمانه، ولا يفي لذي عهد بعهده، فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية، أو يقاتل للعصبية، أو يدعو إلى العصبية، فقتلة جاهلية**"(٤٣). فلا يجوز التقليل من شأن مؤسسات الدولة أو العمل على إضعافها، ومن يفعل ذلك كأنما قد خرج على ولي الأمر وحاربه. وعند تأمل متطلبات المؤسسات القوية، نجدها ماثلة في تعاليم الإسلام وأحكامه.

فقد حرص الإسلام على إطلاق يد المحاسبة والمراقبة للحكومة وأمر الحاكم أو مسؤول الحكومة بالاجتهاد في القيام بهذا الدور، ووعده –حال الاجتهاد– بالأجرين إذا أصاب الهدف، والأجر الواحد –جزاء اجتهاده– إذا أخطأ. واستحدث المسلمون نظامًا للمراقبة والمتابعة يعرف بـ"نظام الحسبة"، بناء على شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعن لأبي سعيد الخدري قال:

(٤٣) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين، (٦/٢٠)، رقم (١٨٤٨).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"(٤٤).

وينبغي أيضًا استئذان ولي الأمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث كان يترتب عليه أضرار مادية بمرتكب المنكر، وإلا ضمن الناهي عن المنكر ما يتلفه على مرتكب المنكر عند بعض الفقهاء؛ يتضح ذلك من قول ابن نجيم: "من كسر معزفًا، أو أراق سَكَرًا، أو منصفًا(٤٥)، ضمن، هذا قول الإمام. وقالا: لا يضمنها؛ لأنها معدة للمعصية؛ فيسقط تقومها كالخمر؛ ولأنه فعله بإذن الشارع؛ لقول النبي ﷺ: "**إذا رأى أحدكم منكرًا فلينكره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**". والكسر: هو الإنكار باليد؛ ولهذا لو فعله بإذن ولي الأمر –وهو الإمام– لا يضمن، فبإذن الشارع أولى"(٤٦). وذلك حتى لا يصير هذا الأمر الجلَل بيد سفاء يُثيرون الفتنة والفساد في الأرض بحماقتهم وافتئاتهم على ولي أمر المسلمين.

وقد ظلَّ نظام الحسبة هو النظام المؤسسي الذي تعكس الدولة من خلاله القيام بمقتضيات مبدأ "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"، ومبدأ سيادة القانون بما فيهما من قيم عليا تتفق عليها جميع النظم الدستورية والتشريعية، من أجل تحقيق مبادئ العدل وسمات الإصلاح وطرق التنمية

(٤٤) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (٦٩/١)، رقم (٧٨).

(٤٥) المَنصَّف: ما طُبخ من الشراب حتى ذهب منه النصف. ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، د.ط، د.ت، (١٣٣/٧)، مادة "ص ن ف".

(٤٦) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، للشيخ زين الدين بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن نُجيم الحنفي، ومعه: تكملة البحر الرائق للعلامة الطوري القادري، وبهامشه: منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٣٤هـ، ١٩١٦م، (١٤٢/٨).

والعمران. كما نجد في تجارب المسلمين المعاصرة في بناء الدولة الحديثة وتنظيم المجتمع بطريقة عصرية الاستفادة بقوة من نظام الحسبة وتطويره فنيًّا وإداريًّا(٤٧).

(٤٧) تاريخ الحسبة وتطبيقاتها (٣)، د.شوقي علام مفتي الديار المصرية، بوابة جريدة الأهرام:

https://gate.ahram.org.eg

المبحث الثاني

دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف الاقتصادية للتنمية المستدامة

الاقتصاد هو عصب الحياة، والاقتصاد في الإسلام يحمي الملكية العامة والخاصة ويمنع الربا والاحتكار والرشوة والفساد ويأمر بالأمانة والعدالة والسماحة وحسن التعامل ويحارب البطالة والتضخم والغَرَر والخداع.

ولتحقيق الأهداف الاقتصادية للتنمية المستدامة –من خلال قراءتي لأهداف خطة التنمية المستدامة للأمم المتحدة– لابد من تحقق أربعة أمور هي:

أولا: ازدهار الاقتصاد:

جاء الهدف الـ(٨) من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة بعنوان "تعزيز النمو الاقتصادي المطرد والشامل للجميع والمستدام، والعمالة الكاملة والمنتجة، وتوفير العمل اللائق للجميع". ويعني: أن النمو الاقتصادي المطرد والشامل يدفع بعجلة التنمية عن طريق توفير المزيد من الموارد للتعليم والصحة والاستهلاك الشخصي والبنية الأساسية للنقل والمياه والطاقة، ويمكن أن يؤدي النمو الاقتصادي أيضًا إلى فرص عمل جديدة وأفضل، غير أن الحفاظ على نمو اقتصادي حقيقي مرتفع ليس بالأمر اليسير، ولم يتمكن سوى بضعة من أقل البلدان نموًّا من الاقتراب باستمرار من معدل النمو السنوي البالغ ٧% المستهدف للناتج المحلي الإجمالي الحقيقي. وعلاوة على ذلك، فإن النمو الاقتصادي ليس بالضرورة مستدامًا عندما تستنفد البلدان مواردها الطبيعية من أجل النمو الاقتصادي، وبالتالي تنقل عبء التدهور البيئي والأضرار البيئية إلى الأجيال المقبلة.

ويسعى الهدف الـ(٨) إلى تعزيز النمو الاقتصادي المطرد والشامل للجميع والمستدام، والعمالة الكاملة والمنتجة، وتوفير العمل اللائق للجميع".

ويشمل الهدف (٨) بالنسبة لمنظمة العمل الدولية الأولويات التالية؛ وذلك وفقًا لمنظمة الأمم المتحدة:

– تحقيق العمالة الكاملة والمنتجة وتوفير العمل اللائق.

- تقليص فجوة الأجور بين الجنسين وبطالة الشباب.
- إنهاء جميع أشكال عمل الأطفال وإضفاء الطابع الرسمي على الاقتصاد غير الرسمي.
- تشجيع المؤسسات المتناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة الحجم.
- حماية حقوق العمل وتعزيز بيئات عمل توفر السلامة والأمن.
- العمال المهاجرون.

ويعرف "ازدهار الاقتصاد" بأنه "العملية الهادفة إلى إحداث تحولات هيكلية اقتصادية اجتماعية، يحقق بموجبها الأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع مستوى عن الحياة الكريمة"(٤٨).

ويسعى ازدهار الاقتصاد إلى تحقيق الأهداف التالية:

- زيادة الدخل القومي الحقيقي.
- رفع مستوى المعيشة.
- تقليل التفاوت في الدخول والثروات.
- توسيع قاعدة الهيكل الإنتاجي للقطاعات المحركة للنمو(٤٩).

وازدهار الاقتصاد هدف تسعى السنة النبوية إلى تحقيقه للناس كافة، إذ يهدف دين الإسلام إلى أن يكون المال متقلبًا ومتحرِّكًا بين أكثر فئات الناس، وليس حكرًا على أحد دون أحد. فقد شرع الإسلام الكسب من الحلال حتى لا يتسبب أي أذى لأحد في المجتمع يقول النبي ﷺ: "**إن**

(٤٨) أسس التنمية الاقتصادية، د.وليد الجيوسي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عَمَّان، ٢٠٠٨م، (ص٣).

(٤٩) دراسات في التنمية الاقتصادية، د.عبد اللطيف مصطفى ود.عبد الرحمان سانية، مكتبة الحسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٤م، (ص٢٦)، واتجاهات حديثة في التنمية، د.عبد القادر عطية، الدار الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠م، (ص٥٢).

أطيب ما أكلتم من كسبكم"(٥٠)، والمراد الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾(٥١). فالاكتساب طريق المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين(٥٢).

وقد اعتنت السنة النبوية بأمن الأموال اعتناء شديدًا، وذلك من خلال مجموعة تشريعات وضَعَتها وسنَّتها، هدفُها في النهاية تحقيقُ مقصِد الشرع في الازدهار.

فلقد اهتمت السنة اهتمامًا كبيرا بازدهار الحياة والاقتصاد، فلم يرضَ النبي ﷺ لأحدٍ الفقر، بل حض المسلمين على الجدّ في العمل والتنمية، وقال ﷺ: "**إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**"(٥٣).

ويقول ﷺ: "**لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس**"(٥٤). فحيث كان الأخذُ عن غيرِ طِيبِ نفسٍ، كان أكلا لأموال الناس بالباطل من غير وجه حق، ومن غير تراضٍ، وهذا كله

---

(٥٠) السنن، لابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، (٧٦٨/٢)، رقم (٢٢٩٠)، والسنن، للترمذي، أبواب: الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده، (٣٢/٣)، رقم (١٣٥٨)، والمسند، لأحمد، (٢٦٢/١١)، رقم (٦٦٧٨). قال الترمذي: "هذا حديث حسن".

(٥١) سورة البقرة، الآية (٥٧).

(٥٢) الكسب، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن الحسن بن فرقد الشيباني الحنفي، تحقيق : د.سهيل زكار، دار عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ، (ص٤٠).

(٥٣) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: كتاب الجنائز، باب: رثاء النبي ﷺ سعد ابن خولة، (٨١/٢)، رقم (١٢٩٥)، وكتاب: الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، (٣/٤)، رقم (٢٧٤٢)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث، (١٢٥٠/٣)، رقم (١٦٢٨).

(٥٤) المسند، لأحمد، (١٨/٣٩)، رقم (٢٣٦٠٥)، والسنن، للحافظ أبي الحسن علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، كتاب: البيوع، (٤٢٤/٣)، رقم (٢٨٨٦)، والسنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي، ومعه: الجوهر النقي للتركماني، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، كتاب: الغصب، باب: من غصب لوحًا فأدخله في سفينة أو بنى عليه جدارًا، (١٦٥/٦)، رقم (١١٥٤٢).

مُنافٍ لازدهار الاقتصاد، بل هو مهددٌ بإتلاف الأموال، وقد صحّ النهي عن كلِّ بيعٍ انعدَم فيه الرضا؛ فعن أبي سعيد الخدري قال: "نهانا رسول الله ﷺ عن بيعتين ولبستين: نهى عن الملامسة والمنابذة في البيع، والملامسة: لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو النهار، ولا يقلبه إلا بذلك، والمنابذة: أن ينبذ الرجل إلى الرجل بثوبه وينبذ الآخر إليه ثوبه، ويكون ذلك بيعهما بغير نظر ولا تراضٍ"(٥٥).

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: "بيع الحصاة، وهذا البيع باطل للغرر، قوله: ويكون ذلك بيعهما بغير نظر وتراض. معناه بلا تأمل ورضا"(٥٦). وحيث انعدم الرضا انعكس على استقرار العقود، وبالتالي على ازدهار الاقتصاد.

كما أوضح النبي ﷺ مبدأ الحرية الاقتصادية التي تُعَزِّز وترسخ استقرار التعاملات المالية بين الناس، فتولِّد ازدهارا ينعكس على الاقتصاد، يقول ابن عباس: "نهانا رسول الله ﷺ أن نتلقَّى الركبان، وأن يبيع حاضر لباد، قال: فقلت لابن عباس: ما قوله: حاضر لباد؟ قال: لا يكون له سمسارًا"(٥٧).

وقال النبي ﷺ: "**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**"(٥٨). **وجه الدلالة**: أنه يعزز الازدهار، ويظهر بأن المقصود بالازدهار ليس مجرد نقل البضائع من سوق إلى آخر، وإنما يكون كذلك بإنتاجها عن طريق

(٥٥) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البيوع، باب: إبطال بيع الملامسة والمنابذة، (١١٥٢/٣)، رقم (١٥١٢).

(٥٦) شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، (١٣٩٢/٢، و١٥٥/١٠).

(٥٧) المسند الصحيح، لمسلم، باب: تحريم بيع الحاضر للباد، (١١٥٧/٣)، رقم (١٥٢١).

(٥٨) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٣/٥)، رقم (٢٣٢٠)، وكتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، (٤٣٨/١٠)، رقم (٦٠١٢)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، (١١٨٩/٣)، رقم (١٥٥٣) عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، (١١٨٩/٣)، رقم (١٥٥٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الزراعة أو الصناعة؛ لأن عدم إنتاجها يجعلنا نفتقدها(٥٩)، وافتقادها يعني عدم وجود ما يتم ترويجه.

وجاءت السنة النبوية بتجريم الاحتكار. يقول ﷺ: "**من احتكر فهو خاطئ**"(٦٠). يقول النووي: "وهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار"(٦١).

ونهى النبي ﷺ عن كثير من البيوع، لما يكتنفها من جهالة ومخاطرة، ولما تفضي إليه من غرر وغبن، في حق أحد المتبايعين.

وهذا يقتضي الوضوح التام، والتحديد المضبوط، في المبيعات وصفاتها، وفي الأثمان، والآجال، وكل هذا معلل، ومصلحته واضحة.

وجاءت السنة النبوية بجواز إحياء الموات. والمراد بمصطلح "إحياء الموات" عند الفقهاء هو: "عمارة الأرض الخربة التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد، والمقصود بعمارة الأرض: إيجاد حياة نامية فيها، من حراثة وزرع وسقي وبناء وغير ذلك"(٦٢).

وتظهر حكمة النصوص الشرعية الداعية إلى إحياء الموات، كما في قوله ﷺ: "**من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق**". قال عروة: قضى به عمر رضي الله عنه في خلافته(٦٣)، وقوله ﷺ: "**من**

---

(٥٩) ينظر: مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، د.عز الدين بن زغيبة، قدم له وراجعه: د.نور الدين صغيري، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (ص٢٥٧).

(٦٠) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، (١٢٢٧/٣)، رقم (١٦٠٥).

(٦١) شرح صحيح مسلم، للنووي، (٤٣/١١).

(٦٢) ينظر: البحر الرائق، لابن نجيم، (٢٣٨/٨)، التاج والإكليل لمختصر خليل، للعلامة مُحَمَّد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري المـوَّاق المالكي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، (٢/٦)، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب، للعلامة سليمان بن مُحَمَّد بن عمر البجيرمي المصري الأزهري الشافعي، باشر تجريد وترتيب هذه الحاشية: الشيخ عثمان بن سليمان السويفي الشافعي من تلامذة المؤلف، ومعه: شرح الخطيب الشربيني المسمى "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع"، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (٥٩٦/٣)، ومنار السبيل في شرح الدليل، للشيخ إبراهيم بن مُحَمَّد بن سالم بن ضويان الحنبلي، تحقيق: سهيل الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، (٤٢٢/١).

أحيا أرضا ميتة فهي له"[٦٤]. في أن الإحياء للموات سبب من أسباب زيادة الأقوات، والخصب والخصب للأحياء[٦٥]، لما فيه من تطبيق لأحكام الشرع الداعية إلى إصلاح الأرض وعمارتها، كما في قوله ﷺ: "**لا يغرس مسلم غرسًا، ولا يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة**". وفي رواية أخرى لمسلم من الباب نفسه: "**إلى يوم القيامة**"[٦٦].

ثانيا: القضاء على الفقر والجوع والبطالة:

إن من أخطر الأمراض الاجتماعية التي تفتك بحياة الفرد والمجتمع، والتي تؤدي إلى تخلف الأمم وضعفها؛ بل وانهيارها إذا تمكنت منها، وتعطيل التنمية المستدامة: "الفقر والجوع والبطالة".

فالفقر والجوع والفقر ظواهر عالمية عرفَتْها وتَعرِفُها كل شعوب الأرض خاصة النامية منها، وقد لا تخلو منها دولة من الدول، ولا مدينة من المدن. فهي تنخر في خلايا المجتمعات فتُسهِم في خلق الكثير من الآفات: سوء التغذية، والأمراض، والجهل.

وللخطورة الشديدة لتلك الظواهر على التنمية الشاملة، نجد أن الأمم المتحدة في خطتها للتنمية المستدامة قد وضعت مواجهة الفقر والجوع في مقدمة أهدافها:

فالهدف الأول هو: "**القضاء على الفقر بجميع أشكاله في كل مكان**": يتمثل جوهر التنمية المستدامة في تزويد الناس في جميع أنحاء العالم بالدعم الذي يحتاجونه لتحرير أنفسهم من الفقر بجميع مظاهره، ويركز هذا الهدف على القضاء على الفقر من خلال إستراتيجيات مترابطة، بما في ذلك تعزيز نُظم الحماية الاجتماعية، وتوفير العمالة اللائقة، وبناء قدرة الفقراء على الصمود، ومع أن المعدّل العالمي للفقر المدقع قد انخفض بأكثر من النصف منذ عام ٢٠٠٠م، فإن هناك حاجة إلى تكثيف الجهود من أجل زيادة الدخل، وتخفيف المعاناة، وبناء القدرة على الصمود لدى

---

(٦٣) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضًا مواتًا، (٨٢٣/٢)، رقم (٢٢١٠).

(٦٤) السنن، للترمذي، أبواب: الأحكام، باب: ما ذكر في إحياء أرض الموات، (٦٦٣/٣)، رقم (١٣٧٩). قال الترمذي: "حسن صحيح".

(٦٥) حاشية رد المحتار، لابن عابدين، (٤٣١/٦).

(٦٦) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، (١١٨٨/٣)، رقم (١٥٥٢).

أولئك الذين ما زالوا فقراء، ويلزم توسيع نطاق نُظم الحماية الاجتماعية والتخفيف من المخاطر بالنسبة للبلدان المعرضة للكوارث، وهي بلدان تميل إلى أن تكون من أفقر بلدان العالم.

أما الهدف الثاني فهو: "**القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المُحسَّنة وتعزيز الزراعة المستدامة**": ويتناول هذا الهدف حاجة الإنسان الأساسية إلى الحصول على غذاء صحي تغذوي، والوسائل التي يمكن من خلالها تأمين هذه الحاجة على نحو مستدام للجميع، ولا يمكن التصدّي لمعالجة الجوع بزيادة إنتاج الأغذية وحدها، فالأسواق التي تعمل بشكل جيد، وزيادة دخول المزارعين أصحاب الحيازات الصغيرة، والوصول المتكافئ إلى التكنولوجيا والأراضي، والاستثمارات الإضافية، كلها عوامل لها دور في خلق قطاع زراعي نشط ومنتج يبني الأمن الغذائي.

وجاءت مواجهة البطالة في الهدف الثامن: "تعزيز النمو الاقتصادي المطرد والشامل والمستدام للجميع، والعمالة الكاملة والمنتجة، **وتوفير العمل اللائق للجميع**": فالنمو الاقتصادي المطرد والشامل يدفع بعجلة التنمية عن طريق توفير المزيد من الموارد للتعليم والصحة والاستهلاك الشخصي، والبنية الأساسية للنقل والمياه والطاقة، ويمكن أن يؤدي النمو الاقتصادي أيضًا إلى فرص عمل جديدة وأفضل، غير أن الحفاظ على نمو اقتصادي حقيقي مرتفع ليس بالأمر اليسير، ولم يتمكن سوى بضعة من أقل البلدان نموًّا من الاقتراب باستمرار من معدل النمو السنوي البالغ ٧% المستهدف للناتج المحلي الإجمالي الحقيقي. وعلاوة على ذلك، فإن النمو الاقتصادي ليس بالضرورة مستدامًا عندما تستنفد البلدان مواردها الطبيعية من أجل النمو الاقتصادي، وبالتالي تنقل عبء التدهور البيئي والأضرار البيئية إلى الأجيال المقبلة.

ويختلف مفهوم الفقر من بلد إلى بلد، ولكن يمكن وضع مفهوم عام يصلح لتعريفه بحيث يشمله في كل مكان. فتُعرِّفه المنظمات الدولية على أنه: "الحالة الاقتصادية التي يفتقد فيها الفردُ الدخلَ الكافي للحصول على المستويات الدنيا من الرعاية الصحية والغذاء والملبس والتعليم، وكل ما يعدُّ من الاحتياجات الضرورية لتأمين مستوى لائق للحياة". واتسع هذا المفهوم وأصبح أكثر

شمولًا خصوصًا بعد قمة كوبنهاغن العام ٢٠٠٦م التي شدَّدت على أهمية حصول الفرد على الحد الأدنى من الحياة الكريمة، وتأمين بيئة سليمة، وفرص المشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرارات في جوانب الحياة المدنية.

فيتضح من ذلك أن الفقر أكثر من مجرد الافتقار إلى الدخل أو الموارد أو ضمان مصدر رزق مستدام، حيث إن مظاهره تشمل الجوع وسوء التغذية وانحسار إمكانية الحصول على التعليم والخدمات الأساسية، إضافة الى التمييز الاجتماعي والاستبعاد من المجتمع وانعدام فرص المشاركة في اتخاذ القرارات.

أما الجوع فلم يزل عدد الذين يعانون من نقص التغذية في العالم يزداد منذ عام ٢٠١٥م، ليصل إلى ما يقدر بـ(٨٢١) مليونًا في عام ٢٠١٨م(٦٧).

وعلى مدى العقدين اللذين سبقا الألفية الجديدة، ازداد الطلب العالمي على المواد الغذائية ازديادًا مطردًا مع النمو في عدد سكان عالم، وسِجِلّ المحاصيل، وتحسُّن المداخيل، وتنويع الأنظمة الغذائية.

ولا يزال الكثير من الناس يفتقرون إلى الغذاء الذي يحتاجونه من أجل التمتع بحياة نشطة وصحية. وتشير آخر التقديرات المتوفرة –كما أسلفنا– إلى أن زهاء ٨٢١ مليونًا في العالم من نقص التغذية في ٢٠١٨م. وهذا يعني أن شخصًا واحدًا من بين تسعة أشخاص لا يحصلون على ما يكفي من الغذاء ليعيشوا حياة نشطة وصحية. وفي الواقع، يشكل الجوع وسوء التغذية الخطر الأول على الصحة على المستوى العالمي، وهذا أكبر من أخطار الإيدز والملاريا والسل معًا.

وما الفقر والجوع إلا مظهر من مظاهر البطالة، والبطالة هي أحد أسبابه المهمة، فهي تطلق على حالة الأشخاص الذين ليس لديهم وظيفة يُمارسونها، ولم يتمكّنوا من الانخراط في القوى العاملة الفعّالة في المجتمع، حيث إنّهم يسعون للحصول على وظيفة باستمرار.

(٦٧) حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم، منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، ٢٠١٩م.

وتعد البطالة قضية جوهرية سواء من ناحية اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، لما لها من جوانب وآثار كبرى في المجتمع اقتصاديا وأمنيا وسلوكيا؛ ولهذا تعطي الحكومات هذه المسألة قدرًا كبيرًا من اهتماماتها.

لما كان الفقر والجوع والبطالة من أخطر القضايا التي تفتك بالمجتمعات، وتؤثر على الاقتصاد، ولها آثار سلبيّة على الفرد في المجتمع، حيثُ يُصبح الأفراد غير قادرين على تسديد التزاماتهم الماليّة، فينتج عن ذلكَ تعرّضهم للضغط النفسيّ، والإصابة بالأمراض، والتشرّد، وارتفاع نسبة الفقر، وفِقْدان رأس المال البشري، ويحدث ذلك عندما يقبل الأفراد العمل دون مستوى مهاراتهم للحصول على الأموال، وعلى الصعيد الاجتماعيّ والسياسيّ فإنّ ارتفاع معدلات الفقر والبطالة قد يؤدّي إلى الاضطرابات المدنيّة والصراعات؛ لأجل كل ذلك سعت الدول والحكومات في الحد منهما، ووضع الخطط لمكافحتهما، ووضع الحلول الفعالة في القضاء عليهما.

ولقد جاء الإسلام لتوفير حياة كريمة للناس، فدعاهم إلى السعي والعمل والكسب، وبين لهم أهمية المال وامتلاكه. بل يصل احتفاء الإسلام بالمال أن الله تعالى جعله مظهرًا من مظاهر امتنانه على خلقه. ففي الحديث الشريف: "**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**"(٦٨).

ولقد مرت بالمسلمين أوقات عصيبة كان الفقر قد أطبق على كثير منهم، خاصة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، ولم يكن الضيق والفقر ناتجًا عن تقصيرٍ أو كسلٍ أو بُخْلٍ، وإنما هي ظروفٌ اقتَضَتْها طبيعةُ هذه المرحلة، والتي يبين بعض أسبابها ابن سعد فيما أخرجه في "طبقاته الكبرى" عن عن أبي هريرة ﷺ: "أن النبي ﷺ كان يجوع، قلتُ لأبي هُرَيْرَة: وكيف ذلك الجوعُ؟ قال: لكثرة مَنْ يَغْشاهُ وأضيافه، وقومٌ يَلْزَمُونه لذلك، فلا يأكل طعامًا أبدًا إلا ومعه أصحابُه، وأهلُ الحاجة يتتبَّعُون من المسجد، فلما فتح الله خَيْبَرَ اتسع الناسُ بعضَ الاتِّساع، وفي الأمر بعدُ

(٦٨) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، (٥٦/٣)، رقم (٢٠٦٧)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (١٩٨٢/٤)، رقم (٢٥٥٧).

ضيقٌ، والمعاشُ شديدٌ فهي بلادُ ظلَفٍ لا زرع فيها، إنما طعامُ أهلِها التمرُ، وعلى ذلك أقاموا، قال مَخْرَمَةُ بنُ سليمانَ: وكانت جَفْنَةُ سعدٍ تَدُور على رسول الله ﷺ منذ يوم نزل المدينة في الهجرة إلى يوم تُوُفِّيَ، وغيرُ سعد بن عُبادة من الأنصار يَفْعَلُونَ ذلك، فكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ كثيرًا يتواسون، ولكن الحقوق تَكْثُر، والقُدَّامُ للمدينة يَكْثُرون، والبلادُ ضيقةٌ، ليس فيها مَعاشٌ إنما تخرج ثَمرتُهم من ماءٍ ثمرٍ يحمِلُه الرجالُ على أكتافهم أو على الإبلُ،، وربما أصاب نَخْلَهم القُشامُ، فيُذهِبُ ثَمرتَهُم تلك السنة"(٦٩).

إن هذا النص يصِفُ أسبابَ الشِّدَّة، ويؤكِّد عدم التقصير في البذل والعطاء، ومن الأسباب ما يلي:

١- أن المدينةَ بلد زراعيٌّ، وزراعتُه تقوم على النَّخيل بالدرجة الأولى، وأن المزَارِعَ تُسقى بالماء الذي يَحْمِلُه الرجال على أكتافهم أو تَحْمِلُه الإبل، وهو أمرٌ صعبٌ؛ فليس هناك مِن أنهار تَسقي المزارع كما في البلاد الزراعية الأخرى، وإذا أصاب القُشامُ الثمرةَ فقد ذهب موسمُ ذلك العام، والميدانُ الزِّراعيُّ مجالُه محدودٌ، والأيدي العاملةُ التي يستهلكها قليلةٌ، خاصة وأن الزراعة الأولى هي النَّخيل، والعمل فيها مواسمُ محدودة.

٢- كثرة الوافدين والقادمين؛ مما ينشأ عنه كثرةُ الحقوق والالْتِزامات، وكلُّ قادمٍ يحتاج إلى أمرين تامَّيْن: السكنِ له ولأسرته، وتأمينِ مَوْرِدِ رزقٍ له، ولم يكنْ هذا بالأمرِ بالسَّهْل، وكمثالٍ لكثْرة أعداد القادمين وعدم قُدرة المدينة على استيعابهم ومثال ذلك قصةُ وفْدِ مُزَيْنَةَ؛ فقد كان أول مَن وفَد على رسول الله ﷺ مِن مُضَر أربعمائة مِن مُزَيْنَةَ، وذاك في رجب سنة خمس، فجعل لهم رسولُ الله ﷺ الهجرةَ في دارهم: "أنتم مهاجرون؛ حيثُ كنتم فارجعوا إلى أموالكم"(٧٠) فقد ردَّهم رسولُ الله ﷺ إلى بلادهم وهو أحْوَجُ ما يكون لهم؛ مِن أجْلِ الدفاع عن المدينة، وما ذاك إلا لأنه

(٦٩) الطبقات الكبرى، للإمام مُحَمَّد بن سعد كاتب الواقدي البصري البغدادي، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م، (٤٠٩/١).

(٧٠) الطبقات الكبرى، لابن سعد، (٢٩١/١).

رأى عدم القدرة الاستيعابيَّة للمدينة على تقبُّل تلك الأعداد الكبيرة دفعةً واحدةً للظُّروف الاقتِصاديَّة القائمة.

٣- أنَّ المهاجرين- وغالبيَّتُهم مِن قريش- لا يُتقنون غير التجارة عملاً، ولم يكن فيهم مَن يُحْسِنُ الصنعات المختلفة؛ وذلك لاحتقار العربي يومئذٍ للصنعة، وأنه يرى فيها عملَ الأرِقَّاء والعبيد، وهذا يجعل من القادمين عاطلين عن العمل لفترة من الزمن على الأقل، ريثما يتعرَّفون على أوضاع البلد، ومع هذا فالمدينة ليست البلد الكبير الذي يستوعب ذلك العدد مِن التجَّار.

٤- أن المدينةَ عاشتْ في أكثر أيام الرسول ﷺ في حالة حرب، والحربُ تُنهك الاقتصاد، وتُذْهِبُ بالثروات، وفي كثيرٍ مِن الأحيان كان يتوفر وجودُ مُقاتلين ولا يوجد المال الذي يُجَهِّزهم للوصول إلى أرض المعركة؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ** ﴾ (٧١).

٥- كان للمدينةِ مع مكةَ حركةٌ تجارية قبل الهجرة وتوقفتْ هذه الحركةُ بعد الهجرة،، مما أثَّرَ بِدَوْرِه على النشاط الاقتصادي.

٦- الهِجرةُ مِن مكة إلى المدينة بحدِّ ذاتها، وترْكُ المهاجرين لأموالهم، أو غالب أموالهم في مكةَ، إما لعدم استِطاعَة حَمْلها كلها، أو لمساومة كفار قريش على أموالهم ليخلوا سبيلهم للهجرة، ومِن ذلك الحديثُ الذي رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رسول الله ﷺ للأنصار: "**إن إخوانكم قد تركوا الأموالَ والأولادَ وخرجوا إليكم**". فقالوا: أموالنا بيننا قطائع. قال رسول الله: "**أوغير ذلك؟**" قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: "**هم قوم لا يعرفون العلم، فتكفونهم وتقاسمونهم التمر**". قالوا: نعم(٧٢).

(٧١) سورة التوبة، الآية (٩٢).

(٧٢) أخبار المدينة النبوية، لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: د.فهيم مُحَمَّد شلتوت، دار التراث والدار الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، (٤٨٨/٢). وينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد

وهذا الضائقة التي عاشها كثير من الصحابة وعلى رأسهم رسول الله ﷺ بين لنا شيئا منها حديث أهل الصفة الذي رواه الترمذي في سننه عن أبي هُرَيْرَة ﷺ قال: "كان أهل الصُّفَّة أضياف أهل الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال، والله الذي لا إله إلا هو، إن كنتُ لأعْتَمِدُ بكَبِدي على الأرض مِن الجوع، وأشدُّ الحجَر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمَرَّ بي أبو بكر، فسألتُه عن آيةٍ مِن كتاب الله، ما أسأله إلا ليَسْتتبعني، فمَرَّ ولم يفعلْ، ثم مَرَّ بي عمرُ، فسألتُه عن آية من كتاب الله ما أسأله إلا ليستتبعني، فمَرَّ ولم يفعلْ، ثم مَرَّ أبو القاسم ﷺ فتَبَسَّم حين رآني وقال: "**أبا هُرَيْرَة**". قلتُ: لبيك يا رسول الله. قال: "**الْحَقْ**". ومضى فاتبعتُه، ودخل منزله فاستأذنتُ فأذِن لي، فوجد قدَحًا مِن لبن، فقال: "**مِن أين هذا اللبن لكم؟**" قيل: أهداه لنا فلان. فقال رسولُ الله ﷺ: "**أبا هُرَيْرَة**". قلتُ: لبيك. فقال: "**الْحَقْ أهل الصُّفَّة فادْعُهم، وهم أضيافُ أهل الإسلام، لا يأوون على أهل ومال**". إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناولْ منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، فأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، وقلتُ: ما هذا القدح بين أهل الصُّفَّة وأنا رسوله إليهم، فسيأمرني أن أُديرَه عليهم، فما عسى أن يُصيبَني منه، وقد كنت أرجو أن أصيبَ منه ما يُغنيني! ولم يكن بُدٌّ مِن طاعة الله وطاعة رسوله، فأتيتهم فدعوتهم، فلما دخلوا عليه فأخذوا مجالسهم، فقال: "**أبا هُرَيْرَة، خُذ القدح وأعطِهم**". فأخذتُ القدَح، فجعلتُ أُناوله الرجل، فيشرب حتى يُروى، ثم يرده فأناوله الآخر حتى انتهيتُ به إلى رسول الله ﷺ، وقد روى القوم كلهم، فأخذ رسول الله ﷺ القدح، فوضعه على يديه ثم رفع رأسه فتبسم، فقال: "**أبا هُرَيْرَة، اشربْ**". فشربتُ ثم قال: "**اشربْ**"، فلم أزَل أشرب، ويقول: "**اشربْ**". حتى قلتُ: والذي بَعَثَكَ بالحق ما أجد له مَسْلكًا، فأخذ القدح فحمد الله وسَمَّى ثم شرب"(٧٣).

أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤ م، (ص١١٣)، وانظر كذلك: البداية والنهاية، لابن كثير، (٥٦٥/٤).

(٧٣) السنن، للترمذي، أبواب: الزهد، باب، (٦٤٨/٤)، رقم (٢٤٧٧). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

وفي ظل هذه المحنة التي عاشها المسلمون الأوائل فإننا نجد أن السنة النبوية تعاملت معها بطريقة رشيدة لم يسبقها إليها أحد، فقدَّمت لها حلولاً ناجعة ناجحة، ومن هذه الحلول:

١- الزكاة: يقول النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: "**ما نقصت صدقة من مال**"(٧٤). وهذا أمرٌ مُشاهَدٌ، فإن الموفقين لأداء ما يجب عليهم في أموالهم يجدون بركةً فيما ينفقونه، وبركة فيما يبقى عندهم، وربما يفتح الله لهم أبواب رزقٍ يُشاهدونها رأي العين، بسبب إنفاقهم أموالهم في سبيل الله؛ ولهذا كانت الزَّكاة في الشرع مُلاقية للزكاة في اللُّغة، منْ حيثُ النَّماءُ والزِّيادةُ.

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: "**أعْلِمْهُم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**"(٧٥). والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، وعمود من أعمدة الدين التي لا يقام إلا بها، يقاتل مانعها، ويكفر جاحدها، فرضت في العام الثاني من الهجرة، وردت في كتاب الله ﷻ ثلاثين مرة في مواطن مختلفة.

٢- الصدقة والتبرع: فقد اعتبر رسولنا الكريم ﷺ أن أي عمل صالح صدقة، بل إنه جعل من الصدقة أحد الأسباب التي يسعى من أجلها المؤمن إلى عمله. ففي الصحيحين عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ النبي ﷺ: "**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "**فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "**فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "**فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ**" أَوْ قَالَ: "**بِالْمَعْرُوفِ**". قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "**فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**". والصدقة بابٌ من أبواب الخير والفلاح، وسبيلٌ إلى الفوز برضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة، والصدقات الطيبة

(٧٤) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، (٤/٢٠٠١)، رقم (٢٥٨٨).

(٧٥) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، (٢/١٠٤)، رقم (١٣٩٥).

تطهيرٌ وتزكيةٌ للنفوس، كما أن من الصدقة ما يكون من أعظم شعائر الدين، وأكبر براهين الإيمان، فقد صح عند الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: "**والصدقة برهان**"(٧٦). والمعنى كما جاء عند بعض أهل العلم يُشير إلى أن بذل الصدقات والحرص عليها دليلٌ قاطع وبُرهانٌ حاسم على إيمان صاحبها ودينه ومحبته لله تعالى. كما أن في الصدقة تنميةً وزيادة للأموال، وتنمية للأجر والثواب الذي يحصل عليه المتصدق عند الله، وفيها سدٌ لحاجات الفقراء والمحتاجين، وسبيل لجلب السعادة إلى نفوسهم، ورسم الابتسامة على شفاههم، وهي وسيلةٌ لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، وطريقٌ إلى انتشار الرحمة والتآخي والمودة بين الناس. كما أنها تدفع النِقم والمكاره والأسقام عن صاحبها. وقد أخبر النبي ﷺ أن من حرص على الإكثار من الصدقات دُعي يوم القيامة ليكون من الداخلين إلى الجنة من باب الصدقة. وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: "**سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله**"، وذكر من هؤلاء السبعة: "**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه**"(٧٧). وعلمنا أن للصدقات منافع وفوائد وفضائل ينبغي للمسلم أن يتأملها وأن يجتهد في تحصيلها ونيل أجرها وثوابها، فأخبرنا أن الصدقة سببٌ في دعاء الملائكة للإنسان أن يزيد الله تعالى في ماله، وأن يُبارك له في رزقه فقد صح عند البُخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**"(٧٨). وعلمنا أن الصدقة تُطفئ الخطيئة لما صح عن كعب بن عُجرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**والصدقة تطفئ الخطيئة كما**

(٧٦) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، (٢٠٣/١)، رقم (٢٢٣).

(٧٧) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (١٣٣/١)، رقم (٦٦٠).

(٧٨) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ (سورة الليل، الآيات (٥-٧)، (١١٥/٢)، رقم (١٤٤٢).

يطفئ الماء النار"[٧٩]. وأن الصدقة سببٌ لعلاج الأمراض وحماية الأعراض. فقد جاء عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "**حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة**"[٨٠]. وأنها سترٌ للإنسان وحمايةٌ له من النار، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: "**يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة**"[٨١]. وأنها تُطفئ عن أصحابها حرَّ القبور لما جاء عن عقبة بن عامر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور**"[٨٢]. وأن من منافعها أن المتصدق يستظل في ظل صدقته يوم

(٧٩) السنن، للترمذي، كتاب: أبواب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، (٥/١١، ١٢)، رقم (٢٦١٦). قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(٨٠) المراسيل، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، باب: في الزكاة، (ص١٢٧)، رقم (١٠٥)، والسنن الكبرى، للبيهقي، كتاب: الجنائز، باب: وضع اليد على المريض، والدعاء له بالشفاء ومداواته بالصدقة، (٣/٥٣٦)، رقم (٦٥٩٣)، والمعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني اللخمي الشامي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد وآخرين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (٢/٢٧٤)، رقم (١٩٦٣)، والمعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الجمهورية العراقية، مطابع الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، (١٠/١٢٨)، رقم (١٠١٩٦). وقد ضعفه البيهقي وقال: "إنما يعرف هذا عن الحسن مرسلاً". قال الذهبي: "موسى واه". ينظر: المهذب في اختصار السنن الكبير، اختصره: الإمام شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (٣/١٣١٤). وقال المنذري: "رواه أبو داود في المراسيل ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعًا متصلاً، والمرسل أشبه". ينظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام الحافظ زكي الدين أبي مُحَمَّد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، (١/٣٠١).

(٨١) المسند، لأحمد، (٤١/٥٠٥)، رقم (٢٥٠٥٧). وهو حديث صحيح.

(٨٢) المعجم الكبير، للطبراني، (١٧/٢٨٦)، رقم (٧٨٨). قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، مطبوع بهامش: إحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة، بيروت، د.ت، (٢/٥٨٩): "في إسناده ابن لَهِيعة". يعني أن الحديث ضعيف.

القيامة لما جاء عن عقبة بن عامر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... **وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته**"(٨٣). والصدقة تزيد وتُبارك في مال الإنسان، وتدفع عنه المضرات لما صحّ عند الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "**ما نقصت صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبد ا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**". والصدقة رصيدٌ يدخره الله تعالى لعباده المتصدقين في الدار الآخرة من الأجر العظيم والثواب الجزيل لما صحَّ عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: "**ما تصدق أحد بصدقةٍ من طيبٍ، ولا يقبل الله إلا الطيب؛ إلا أخذها الرحمن بيمنيه، وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**"(٨٤).

٣– العمل: فقد دعت السنة النبوية إلى تشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات، كما كان يفعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين أَعْطَوا القدوة والمثل الأعلى في العمل والكسب الحلال، ففي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال عن نبي الله داود: "**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ تعالى كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**"(٨٥).

وكان رسول الله ﷺ القدوة والمثَل الذي يُحتذى به في هذا المجال؛ حيث كان يرعى الغنم، ويُزَاول التجارة بأموال خديجة ﷺ قبل بعثته؛ ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيّ ﷺ أنه قال: "**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ**". فقال أصحابه: وأنتَ؟ فقال: "**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**"(٨٦). كما كانت نظرة رسول الله ﷺ للعمل نظرة تقدير واحترام، مهما كانت طبيعته؛ فإنه خيرٌ من سؤال الناس والذِّلَّة بين أيديهم، ويُصَوِّر رسول الله ﷺ هذا الأمر

(٨٣) في نفس الحديث السابق.

(٨٤) السنن، للترمذي، أبواب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، (٤٢/٢)، رقم (٦٦١). قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

(٨٥) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٥٧/٣)، رقم (٢٠٧٢).

(٨٦) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، (٨٨/٣)، رقم (٢٢٦٢).

بقوله: "**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**"(٨٧). كما تتفرَّد النظرة النبويَّة للعمل كذلك بأنها تربط بين العمل وثواب الله في الآخرة. وشجَّع رسول الله ﷺ المشاريع الاقتصادية بين المسلمين، وحثَّهم على المزارعة، كما فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين الفقراء، الذين قَدِموا على المدينة بلا أدنى مال، فعند البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسمْ بيننا وبَيْن إخواننا النَّخِيلَ. فقال: "**لا**". فقالوا: تَكْفُونَا الْمُؤْنَة، وَنَشْرَككُمْ في الثمرة. قالوا: سمِعْنا وأطَعْنا(٨٨). وحرَّم رسول الله ﷺ الربا لما له من مضارَّ على فقراء المجتمع؛ فهو يعوق التنمية، ويُسَبِّب التخلُّف، ويَزِيد الفقير فقرًا؛ ممَّا يؤدِّي إلى الهلاك؛ ففي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: "**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**". قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "**الشِّرْكُ بِاللَّهِ... وَأَكْلُ الرِّبَا**"(٨٩). وسيرة رسول الله ﷺ كانت تطبيقًا عمليًّا لهذه المبادئ والقيم، التي تعمل على حلِّ مشكلتي الفقر والبطالة، فعند أبي دواد والترمذي وغيرهما عن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال ﷺ: "**أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟**" قال: بلى، حِلْس(٩٠)؛ نلبس بعضه(٩١)، ونبسط بعضه، وقَعْب(٩٢) نشرب فيه من الماء. قال: "**ائْتِنِي بِهِمَا**". قال: فأتاه بهما، فأخذهما

---

(٨٧) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، (١٢٣/٢)، رقم (١٤٧١).

(٨٨) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: المزارعة، باب: إذا قال: اكفني مئونة النخل وغيره، وتشركني في الثمر، (١٠٤/٣)، رقم (٢٣٢٥).

(٨٩) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الحدود، باب: رمي المحصنات، (١٧٥/٨)، رقم (٦٨٥٧).

(٩٠) الحلس: كساء غليظ، يلي ظهر البعير تحت القتب، وحلس البيت ما يُبسط تحت حرِّ المتاع من مِسْحٍ "كساء من الشعر" ونحوه. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥٤/٦)، مادة "ح ل س".

(٩١) نلبس بعضه: أي بالتغطية لدفع البرد. ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للشيخ أبي الطيب محمَّد شمس الحق العظيم آبادي، بهامشه: شرح ابن القيم على سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (٣٧/٥).

(٩٢) القعب: القدح الضَّخم الغليظ الجافي، وقيل: قدح من خشب مقعَّر. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٦٨٣/١)، مادة "ق ع ب".

رسول الله ﷺ بيده، وقال: "**مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟**" قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: "**مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟**" مرَّتين أو ثلاثًا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إيَّاه وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: "**اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا، فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ**". فأتاه به، فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال له: "**اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا**". فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: "**هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ**(٩٣)**، وَلِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ**(٩٤)"(٩٥). فكانت معالجته معالجة عمليَّة؛ استخدم فيها رسول الله ﷺ كل الطاقات والإمكانات المتوفِّرة لدى الشخص الفقير، وإن تضاءلت؛ حيث علَّمه رسول الله ﷺ كيف يجلب الرزق الحلال من خلال عمل شريف. وهو تطبيق لأوامر الله تعالى في كتابه حيث قال ﷻ: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(٩٦)، وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾(٩٧).

---

(٩٣) مدقع: أي شديد يُفضي بصاحبه إلى الدُّقاع وهو التراب. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٨٩/٨)، مادة "د ق ع".

(٩٤) ذو الدم الموجع: هو مَنْ يتحمَّل ديةً فيسعى فيها، حتى يؤديَها إلى أولياء المقتول، فإن لم يؤدها قُتِلَ المحتمل عنه فيوجعه قتله. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٣٧٩/٨)، مادة "و ج ع".

(٩٥) السنن، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م، كتاب: الزكاة، باب: ما تجوز فيه المسألة، (١٢٠/٢)، رقم (١٦٤١)، والسنن، للترمذي، أبواب: الزكاة، باب: من لا تحل له الصدقة، (٣٤/٣)، رقم (٦٥٣). قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".

(٩٦) سورة الجمعة، الآية (١٠).

(٩٧) سورة الملك، الآية (١٥).

وهذه مزية تميز بها الإسلام عن غيره من المعالجَات البشريَّة للمشكلة، فها هو ذا النبي ﷺ يُعَلِّم أصحابه الإنفاق، فعند مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحثَّنَا على الصدقة، فأبطئوا حتى رُئِيَ في وجهه الغضب، ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصُرَّة، فأعطاها له، فتتابع الناس حتى رُئِيَ في وجهه السرور، فقال رسول الله ﷺ: "**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا، وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**"(٩٨).

(٩٨) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، (٢/٧٠٤)، رقم (١٠١٧).

المبحث الثالث

دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة

أولى الإسلام البيئة عناية كبيرة في نصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية، ولقد فهم المسلمون من هذه النصوص المقدسة أن الله سبحانه وتعالى عندما أودع هذه الثروات والموارد في بيئة الأرض كان ذلك من أجل غاية عظيمة ألا وهي عمارة الأرض والكون، والتي تدخل تحت الغاية الأساسية من خلق الإنسان وهي عبادة الله الواحد الأحد.

وفي ضوء ذلك يظهر أن حياته ﷺ وخلفائه من بعده، كانت نموذجًا تطبيقيًا للأخلاق الإسلامية، والمعاملات التي حدَّدتها الشريعة في كلِّ شيء، حتى التعامل مع النبات، والحيوان، والطير، والجماد، وسائر عناصر الطبيعة الأخرى، كالأرض، والماء، والهواء. وعليه فقد جاءت تعاليم الإسلام واضحة فيما يتعلق بعناصر البيئة، من حيث الأشكال المتعددة من أوجه الرعاية، وطريقة تعامل المسلم معها، وهذه التعاليم الواضحة المستمدة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية رسمت منهجًا واضحًا للشريعة الإسلامية في حماية البيئة(٩٩).

ولتحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة –من خلال قراءتي لأهداف خطة التنمية المستدامة للأمم المتحدة– لابد من تحقق أمرين هما:

أولا: حماية المناخ:

(٩٩) دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، صالح درويش الكاشف، مداخلة نشرت في كتاب أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر لمركز جيل البحث العلمي حول أليات حماية البيئة، الذي نظم في طرابلس لبنان يومي ٢٦ و٢٧ ديسمبر ٢٠١٧، (٤٨، ٤٩).

يشكل تغير المناخ تهديدًا مباشرًا لقدرة الإنسان على تحقيق التنمية المستدامة، بل وعلى البقاء والنماء والازدهار على كوكب الأرض بشكل عام.

ولذلك رأيناه يأتي ضمن الهدف (١٣) من أهداف خطة التنمية المستدامة للأمم المتحدة المعنون باسم: "العمل المناخي". ومعناه: "اتخاذ إجراءات عاجلة لمكافحة تغير المناخ وآثاره من خلال تنظيم الانبعاثات وتعزيز التطورات في مجال الطاقة المتجددة"(١٠٠).

كان عام ٢٠١٩م ثاني أحر عام على الإطلاق ونهاية أعلى عقد من الزمن (٢٠١٠ – ٢٠١٩) سُجِّل على الإطلاق من حيث الحرارة.

فقد ارتفعت مستويات ثاني أكسيد الكربون وغيره من غازات الدفيئة في الغلاف الجوي إلى أرقام قياسية جديدة في عام ٢٠١٩م(١٠١).

---

(١٠٠) مصطلح "تغير المناخ" يعني: تغيرًا في المناخ يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري، الذي يفضي إلى تغير في تكوين الغلاف الجوي العالمي، والذي يلاحظ – بالإضافة إلى التقلب الطبيعي للمناخ – على مدى فترات زمنية متماثلة. الآثار الضارة لتغير المناخ. يعني: التغيرات التي تطرأ على البيئة الطبيعية أو الحيوية من جراء تغير المناخ، والتي لها آثار ضارة كبيرة على تكوين أو مرونة أو إنتاجية النظم الإيكولوجية الطبيعية والمسيرة، أو على عمل النظم الاجتماعية – الاقتصادية، أو على صحة الإنسان ورفاهه. والانبعاثات. يعني: إطلاق غازات الدفيئة في الغلاف الجوي على امتداد رقعة محددة وفترة زمنية محددة. ينظر: نص اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ ١٩٩٢، المادة١، التعاريف.

(١٠١) الغازات الدفيئة. أو غازات الصوبة الخضراء يعني: الغازات التي تَختزن الحرارة في الغلاف الجوي. وأمثلتها:

١- غاز ثاني أكسيد الكربون: يدخل غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي قادمًا من احتراق الوقود الأحفوري (الفحم والغاز الطبيعي والنفط)، والنفايات الصلبة، والأشجار والمنتجات الخشبية، وأيضًا نتيجة بعض التفاعلات الكيميائية (مثل صناعة الإسمنت). وتتم إزالة ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي أو "عزله" جرّاء امتصاص النباتات له كجزءٍ من دورة الكربون البيولوجية.

٢- غاز الميثان: ينبعث غاز الميثان أثناء إنتاج ونقل الفحم والغاز الطبيعي والنفط. وتنتُج انبعاثات الميثان أيضًا عن الثروة الحيوانية والممارسات الزراعية الأخرى، وعن تحلل المخلفات العضوية الموجودة في المدافن البلدية للمخلفات الصلبة.

ويؤثر تغير المناخ على كل الدول في جميع القارات؛ لكونه يعطل الاقتصادات الوطنية ويؤثر على الحياة، فتتغير أنماط الطقس، وترتفع مستويات سطح البحر، وتصبح الأحداث الجوية أكثر حدةً.

ويتطلب إنقاذ الأرواح وسبل العيش اتخاذ إجراءاتٍ عاجلة لمواجهة الجائحة والطوارئ المناخية. يستهدف اتفاق باريس، الذي اعتُمد في عام ٢٠١٥م، إلى تعزيز الاستجابة العالمية لخطر تغير المناخ من خلال الحفاظ على ارتفاع درجة الحرارة العالمية هذا القرن ما دون درجتين مئويتين فوق مستويات ما قبل العصر الصناعي. كما تهدف الاتفاقية إلى تعزيز قدرة الدول على التعامل مع آثار تغير المناخ من خلال التدفقات المالية المناسبة، ومن خلال إيجاد إطارٍ تقنيٍ جديد وإطار عملٍ محسّن لبناء القدرات(١٠٢).

إن التغير المناخي يشكل خطرًا داهمًا على المجتمعات البشرية وكوكب الأرض. ولن يستثني أحدًا، الأغنياء كما الفقراء، الكبار كما الصغار، المتدينين ومن لا دين لهم. قد لا يكون ذلك في

٣- غاز أكسيد النيتروجين: ينبعث أكسيد النيتروجين أثناء الأنشطة الزراعية والصناعية، وكذلك أثناء احتراق الوقود الأحفوري والمخلفات الصلبة.

٤- الغازات المفلورة: تُعتبر كلٌ من مركبات الهيدروفلوروكربون، والمركبات الفلوروكربونية المشبعة، وسادس فلوريد الكبريت، وثلاثي فلوريد النتروجين مركباتٍ اصطناعية تُمثل غازات دفيئةً قويةً تنبعث عن العديد من العمليات الصناعية؛ ففي بعض الأحيان تُستخدم الغازات المفلورة كبدائل للمواد المستنفَدة للأوزون في طبقة الستراتوسفير، على سبيل المثال، مركبات الكلوروفلورو كربون، ومركبات الهيدروكلوروفلورو كربون، والهالونات. في العادة، تنبعث هذه الغازات بكميات أقل؛ لكن ولأنها غازات دفيئة مؤثرة، يُشار إليها أحيانًا على أنها غازات احتباس حراري بقدرة كامنة عالية. وسميت "دفيئة"؛ لأنها تمثل الغطاء الدافئ حول الأرض وبدون ذلك الغطاء لأصبحت درجة حرارة سطح الأرض أقل من ٣٠ درجة مئوية عن ما هي عليه الآن. ينظر: فهم التغيرات المناخية: دليل المبتدئين لاتفاقية المتحدة الأمم الإطارية لتغير المناخ وبروتوكول كيوتو- وزراة شئون البيئة المصرية، ٢٠٠٧م، (ص٩).

(١٠٢) الهدف (١٣)، اتخاذ إجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره، الجمعية العامة للأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة: **https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar**

التوقيت ذاته أو بالحدة نفسها، ولكنه في النهاية سيعم الجميع، حتى من كانت مساهمتهم في هذا التغير ضعيفة. إذ إنَّ الدول الغنية والتي تحتل المراتب المتقدمة في مجال التصنيع والتصدير هي المساهم الأكبر في الانبعاثات الكربونية. ومع ذلك، فهي الأقل تضررًا من هذه الظاهرة؛ نظرًا لقدرتها على تطوير قدراتها وتقنياتها لمواجهة الكوارث البيئية.

وفي المقابل، تتضرر الدول الفقيرة كثيرًا بالرغم من مساهمتها الطفيفة في تلك الكارثة، نظرًا لعجزها وتدني قدراتها على مواجهة هذه المخاطر المهولة بمفردها. لذا حذر البنك الدولي قبل عدة أعوام من أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بين أكثر الأماكن على الأرض عرضة للخطر نتيجة لارتفاع منسوب مياه البحر، خاصة المناطق الساحلية المنخفضة في مصر وتونس وليبيا وقطر والإمارات والكويت.

كما يتوقع علماء المناخ أن يتعرض عشرات ملايين البشر في المنطقة لضغط نقص المياه بحلول عام ٢٠٢٥م. وشح المياه نتيجة الجفاف سيؤدي بدوره إلى زيادة الضغط على موارد المياه الجوفية وإلى قلة المحاصيل الزراعية، مما سينعكس على اقتصاد هذه الدول، وعلى العائدات من المحاصيل الزراعية والسياحة، وعلى معدلات البطالة والنزوح السكاني والصحة.

وانطلاقًا من هذه المخاطر أصبحت التوعية لازمة، وإهمالها تفريط ومشاركة في الجرائم البيئية القادمة، لذا على جميع الدول المسلمة برمجة التربية البيئية ضمن مقررات مناهجها التربوية لجميع أسلاك التعليم، لتنشئة أجيال تعي مخاطر تغير المناخ عليها وعلى من سيأتي بعدها. ومن ثم تستطيع المساهمة في وقف تصدير الدول المصنعة لمسببات المكاره البيئية نحو الدول الأقل تصنيعًا، لتفادي الأسوأ للأجيال القادمة، التي أصبحت مهددة في أمنها الغذائي والمائي، بسبب ارتفاع درجات الحرارة، أو فيضانات طوفانيه.

فالأمر خطير، يستوجب انخراط الجميع في هذا المشروع، حرصًا على حياة مستقرة على هذا الكوكب، وإلا لحق الضرر والمشقة الجميع.

فالأمر يهم المصلحة العامة، التي فوق كل اعتبار، والتي هي في النهاية مصلحة الإنسان كأسمى كائن حي على هذه الأرض، وهو طبعًا، المستفيد الأول من تحسين سلوكه اتجاه البيئة،

خاصة وأن جل المؤتمرات والندوات العالمية التي تناولت البيئة ومواضيعها ومشكلاتها أكدت أنَّ المشكلات البيئية أغلبها مشكلات سلوكية بالدرجة الأولى.

وما نراه من اضطراب وفساد في هذا الكون ليس بظلم الله لكم ولكن من نتائج ظلم الإنسان. وهذا هو التمثيل الحقيقي لقول النبي ﷺ قال: "**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**"(١٠٣).

ومن ثم فإنَّ المسؤول الذي يوقع صفقات إدخال مخلفات خطيرة إلى بلده مفسد في الأرض، والمتسبب في التلوث بطرحه مخلفات مصنعه في نهر أو أرض مفسد، والمسؤول الذي أهمل أمر تدبير نفايات مدينته وبلده وأمر بطرحها في أماكن قريبة من التجمعات السكنية أو الفرشات المائية مفسد في الأرض، وغير المبالي بدخان مصنعه متسببًا في تلويث هواء مدينته مفسد في الأرض، والمتسبب في حرائق الغابات أو اجتثاثها مفسد في الأرض، والصياد الذي يستخدم الديناميت أثناء صيده مفسد كذلك، والمتباهي بكثرة مشترياته واستهلاكه الذي يفوق حاجته وحدود المعقول مفسد أيضًا.

فكل هؤلاء يساهمون في زيادة الاحتباس الحراري، السبب المباشر لتغير المناخ، وما ينتج عنه من موجات الجفاف والفيضانات والأعاصير والزلازل والعواصف الثلجية وهي مخاطر حقيقية تكون سببًا في فساد المحاصيل الزراعية عن طريق الفيضانات، وفساد التربة بفقدها أهم موادها العضوية الصالحة للزرعة، وتهجير الكثير من الناس وتشريدهم من مواطنهم، إذ يؤدي ارتفاع مستوى سطح البحر إلى تدمير مناطق ساحلية شاسعة ومنخفضة تمثل موطنًا لملايين من

(١٠٣) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (٣/ ١٣٩)، رقم (٢٤٩٣).

الأشخاص الذين سيضطرون إلى الانتقال نهائيًا إلى مكان آخر. كما يهاجر الكثيرون بسبب الجفاف، لعدم قدرتهم على ممارسة نشاطهم الزراعي بسبب شح المياه، وفقدان خصوبة التربة وتملحها، مما جعل هذه الظروف سببًا في ظهور ما يسمى بالهجرة البيئية. وحسب الإحصائيات فإنَّه خلال منتصف التسعينيات اضطر حوالي ٢٥ مليون شخص للهجرة البيئية نتيجة تدهور البيئة والكوارث الطبيعة.

وقد يصبح التحول إلى الطاقات البديلة(١٠٤) مسألة شرعية فيها حلال وحرام لا مجرد استحسان واستصلاح إذا عظُم الضرر وقام عليه الدليل القاطع. ومن هنا كانت مقولة النبي ﷺ: "**لا ضرر ولا ضرار**"، أحسن قاعدة يمكن الاستشهاد بها لتحقيق العدل في هذا المجال، أي: أنتج واربح، دون أن تستنزف وتؤذي. وكل وتمتع، دون إفراط ومجاوزة الحد؛ لقوله ﷺ: "**كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مَخِيلَة ولا سرف، فإنَّ الله يحب أنْ يرى أثر نعمته على عبده**"(١٠٥). فهذا نص في الحث على ترشيد النفس والتحكم في شهواتها، ودعوة إلى الزهد فيما زاد عن الحاجة عن طريق الصدقة، سواء صدقة التطوع أو الفريضة، لأنَّها توفر مصدر دخل دائم يكفي الفقير عن السؤال المستمر، ويجعله شخصًا منتجًا ومستقلًا اقتصاديًا.

وتدعو النظرة الإسلامية للعالم من خلال السنة النبوية إلى الانتقال إلى مجتمع واقتصاد مستدام من خلال تبني تنمية مسئولة واحترام مبادئ الاستدامة. ويتطلب هذا التغير إحداث نقلة في القواعد والممارسات. ويمكن أن يصبح الدين جزءًا قويًا من الحل إذا كان البشر يجسدون رؤية روحية كلية تجاه البشرية والأرض والكون. يقول النبي مُحَمَّد ﷺ: "**إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا**"(١٠٦).

---

(١٠٤) الطاقة البديلة أو المواد البديلة. يعني: المواد التي تعمل على التقليل من أن تزيد التأثيرات الضارة على طبقة الأوزون أو القضاء عليها أو تجنبها اتفاقية فيينا لحماية طبقة الأوزون ١٩٨٥، المادة (١)، التعاريف.

(١٠٥) السنن، لابن ماجه، كتاب: الزكاة، باب: الاختيال في الصدقة، (٧٩/٥)، رقم (٢٥٥٩)، والمسند، لأحمد بن حنبل، (٣١٢/١١)، رقم (٦٧٠٨). وهو حديث حسن.

(١٠٦) سبق تخريجه.

وقد تمخضت الرؤية الإسلامية لتغير المناخ عن صدور "**الإعلان الإسلامي بشأن تغير المناخ**"، والذي وَقَّع عليه علماء مسلمون من مختلف أنحاء العالم في إسطنبول في أغسطس ٢٠١٥م ويدعو الدول إلى التخلص التدريجي من الانبعاثات الغازية المسببة للانحباس الحراري العالمي وإلى التحول إلى الطاقة المتجددة بنسبة ١٠٠%. ونظرًا لأن ١.٦ مليار نسمة من سكان العالم يدينون بالإسلام، فإن هذا البيان الجماعي يرسل إشارة قوية قبل مؤتمر قمة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة المنعقد في وقت لاحق في سبتمبر ٢٠١٥م، ومؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ في باريس في ديسمبر ٢٠١٥م(١٠٧).

ثانيا: حماية الحياتين البرية والبحرية:

تعد حماية الحياتين البرية والبحرية من أهم مطالب تحقيق التنمية المستدامة؛ لأن فيما الموارد الطبيعية التي تقوم عليها التنمية المستدامة.

ولذلك جاءا ضمن الهدفين (١٤، و١٥) من أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة:

الهدف (١٤): "حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المستدامة". تقول الأمم المتحدة: "تغطي المحيطات ما يقرب من ثلاثة أرباع الكوكب، وهي تضم أكبر نظام بيئي على الأرض، وتعتمد المجموعات السكانية الساحلية الهائلة الحجم في كل منطقة على المحيطات لتحصيل سبل العيش وتحقيق الازدهار، كما توفر المحيطات أيضاً خدمات بيئية لا تقدّر بثمن: فهي تولّد نصف الأكسجين الذي نتنفسه، وتدعم ثروة من الموارد البحرية وتعمل كمنظم للمناخ، ومع ذلك، وعلى الرغم من أهميتها الحاسمة، فإن الآثار المتزايدة لتغيّر المناخ (بما في ذلك تحمّض المحيطات) والصيد المفرط والتلوث البحري، تعرّض للخطر التقدّم المحرز في حماية محيطات العالم، وتعتبر الدول الجزرية الصغيرة النامية الأكثر عرضة للخطر، ونظراً لطبيعة المحيطات العابرة للحدود، تتطلب إدارة الموارد البحرية تدخلات على جميع المستويات (الوطنية والإقليمية والعالمية) للتخفيف من حدة التهديدات".

---

(١٠٧) موقع project-syndicate، بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠١٥م:

https://www.project-syndicate.org

الهدف (١٥): "حماية النُظم الإيكولوجية البرّية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، وإدارة الغابات على نحو مستدام، ومكافحة التصحّر، ووقف تدهور الأراضي وعكس مساره، ووقف فِقْدان التنوع البيولوجي". تقول الأمم المتحدة: "يمكن أن تساعد النُظم الإيكولوجية المحمية والمرممة والتنوع البيولوجي الذي تدعمه في التخفيف من آثار تغير المناخ وتوفير قدر أكبر من القدرة على الصمود في مواجهة الضغوط البشرية المتنامية والكوارث المتزايدة، كما أن النُظم الإيكولوجية الصحية تنتج فوائد متعددة لجميع المجتمعات المحلية: فهي توفر الهواء النظيف والماء والغذاء والمواد الخام والأدوية، على سبيل المثال لا الحصر. وحتى الآن، كان التقدّم المحرز متفاوتاً في مجالات الحفاظ على النظم الإيكولوجية البرية واستخدامها المستدام وحماية التنوع البيولوجي، وقد تباطأت وتيرة فقدان الغابات، واستمرت التحسينات في إدارة الغابات على نحو مستدام وفي حماية المناطق التي لها أهميتها بالنسبة للتنوع البيولوجي، ومع ذلك، فإن تسارع فقدان التنوع البيولوجي، إلى جانب استمرار الصيد والاتجار غير المشروعين في الحياة البرية، أمر يدعو للقلق. وعلاوة على ذلك، فإن نحو خُمس مساحة اليابسة الأرضية التي تغطيها النباتات، في الفترة من عام ١٩٩٨ إلى عام ٢٠١٣م، ما فتئت تظهر اتجاهاً نحو التراجع فيما يتعلق بإنتاجيتها، إن تدهور التربة والأراضي يقوض أمن جميع البلدان وتنميتها"[١٠٨].

وقد جاء في السنة المطهرة تعاليم نبوية من شأنها الحفاظ على الحياتين البرية والبحرية. فقد نهى النبي ﷺ عن الإسراف في استخدام المياه، فقد مر ﷺ بسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ: "**ما هذا السرف يا سعد؟**" فقال: أفي الوضوء سرف؟ قال ﷺ: "**نعم وإن كنت على نهر جار**"[١٠٩].

---

(١٠٨) الهدف (١٥)، حماية النُظم الإيكولوجية البرّية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، وإدارة الغابات على نحو مستدام، ومكافحة التصحّر، ووقف تدهور الأراضي وعكس مساره، ووقف فِقْدان التنوع البيولوجي، الجمعية العامة للأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة:

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar

(١٠٩) السنن، لابن ماجه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، (١٤٧/١)، رقم (٤٢٥)، المسند، لأحمد بن حنبل، (٦٣٦/١١)، رقم (٧٠٦٥). قال ابن الملقن في في تخريج

وعن عبد الله بن معقل ﷺ قال سمعت الرسول ﷺ يقول: "**إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**"[١١٠]. فالنبي ﷺ نهى عن الإسراف في استعمال المياه ولو كان ذلك في عبادة كما في الطهارة للصلاة، فليس معنى أن الطهارة للصلاة أن نسرف فيه المياه، وإذا كان الإسراف منهيا عنه في العبادات ففي غيرها من باب أولى. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: "كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد"[١١١]. وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الوضوء فأراه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: "**هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**"[١١٢]؛ فإذا كان استخدام الماء في أمور الوضوء والعبادة هكذا بدون إسرافٍ أو تبذيرٍ فما بالنا الآن بهذا الإسراف الشديد في استخدام المياه وإهدار الموارد الطبيعية الأخرى لبني الإنسان.

كذلك نهت السنة النبوية عن تلويث الماء؛ فقد حذَّر النبي ﷺ من تلويث الماء، ونهى أن يُبال في الماء الراكد. فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يبال في الماء الراكد"[١١٣]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي**

الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (٦٠١/٢): "رواه أحمد وابن ماجه وفي إسناده: ابن لهيعة". فالحديث ضعيف.

(١١٠) السنن، لأبي داود، كتاب: الطهارة، باب: الإسراف في الماء، (٢٤/١)، رقم (٩٦). وقد صححه ابن الملقن في البدر المنير (٥٩٩/٢).

(١١١) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الوضوء، باب: الوضوء بالمد، (٥١/١)، رقم (٢٠١).

(١١٢) السنن الصغرى «المجتبى»، للحافظ عبد الرحمن بن شعيب النسائي، ومعها: شرح السيوطي وحاشية السندي، ترقيم: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م ، كتاب: الطهارة، باب: الاعتداء في الوضوء، (٨٨/١)، رقم (١٤٠)، والمسند، لأحمد بن حنبل، (٢٧٧/١١)، رقم (٦٦٨٤). وقد صححه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، (٢٩٧/١).

(١١٣) المسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد، (٢٣٥/١)، رقم (٢٨١).

لا يجري ثم يغتسل فيه"[١١٤]. والعلَّة في ذلك: حمايتُه من أن يكون موطنًا للأمراض والأوبئة، وهذه العلة متحققة في إلقاء المُخلَّفات -كالقمامة والحيوانات النافقة- في مياه النيل والترع التي يَسقِي منها الناس زَرعَهم وبهائمهم؛ لأن هذه المخلفات تُحوِّل هذه المياه إلى بيئةٍ راعيةٍ للأمراض والأوبئة.

كما رتب النبي ﷺ اللعن على من يلوث الموارد المائية، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال الرسول الله ﷺ: "**اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل**"[١١٥].

وفي ذلك كله أمر بالحفاظ على وهبنا الله من نعم في البر والبحر، والتعامل معها باحترام وتكريم ورشد.

([١١٤]) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، (٥٧/١)، رقم (٢٣٩)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد، (٢٣٥/١)، رقم (٢٨٢).

([١١٥]) السنن، لأبي داود، كتاب: الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، (٧/١)، رقم (٢٦)، والمسند، لأحمد، (٤٤٨/٤، ٤٤٩)، رقم (٢٧١٥). وهو حديث حسن.

خاتمة البحث

تناول هذا البحث "**دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة**"، ومن المعلوم أن لكل عمل علمي نتائج وثمرات في نهايته، وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج أثناء عملي، أريد أن أسجلها فيما يلي:

١- التنمية المستدامة في المفهوم الإسلامي هي: "السعي للارتقاء بحياة الناس ماديًّا وروحيًّا بما يسعدهم في دنياهم وأخراهم، وفق السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الحياة، من غير إفساد أو إضرار أو إهدار للموارد، وبما يضمن حظوظ الأجيال كلها حاضرها ومستقبلها؛ حتى يتحقق لهم التكريم اللائق بهم".

٢- من يتدبَّر السنة الشريفة يجد أن النبي ﷺ حثَّنا على الإعمار والإصلاح في كل وقت وحين.

٣- لم يرد مصطلح "التنمية" في نصوص القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، إنما ورد ما يدل على مفهومها ومعناها، ويمكن الوقوف على ثلاثة مصطلحات لها علاقة وثيقة بالتنمية، وهي: مصطلح "الإعمار"، ومصطلح "الاستخلاف"، ومصطلح "الإصلاح".

٤- في إطار تحقيق الأهداف السياسية للتنمية المستدامة، أرست السنة النبوية مبادئ: المساواة بين البشر، والحرص على سلامة وأمن المجتمع، وعدم إشعال الحرب، وحماية الكرامة الإنسانية، والتعاون والتكافل الإنساني والتعايش السلمي بين بني الإنسان، ومساعدة الإنسان لأخيه الإنسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة ولي الأمر.

٥- في إطار تحقيق الأهداف الاقتصادية للتنمية المستدامة، أرست السنة النبوية مبادئ: الكسب من الحلال، والحض على الجد في العمل والتنمية، وأهمية الزراعة والصناعة، وتجريم الاحتكار، وجواز إحياء الموات، والمثابرة على العمل، والعناية بقيم الإبداع، والزكاة، والصدقة والتبرع، وقيمة العمل.

٦- في إطار تحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة، أرست السنة النبوية مبادئ: تحريم الإسراف في استخدام المياه، وتحريم تلويث الماء، ولعن على من يلوث الموارد المائية.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

المصادر والمراجع

أولا: الكتب والأبحاث:

١. أخبار المدينة النبوية، لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: د.فهيم مُحَمَّد شلتوت، دار التراث والدار الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢. أسس التنمية الاقتصادية، د.وليد الجيوسي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عَمَّان، ٢٠٠٨م.

٣. إعلان جنيف بشأن العنف المسلح والتنمية، المزيد من العنف، تنمية أقل: النظر في العلاقة بين العنف المسلح وتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، جنيف، ٢٠١٠م.

٤. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، للشيخ زين الدين بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن نُجيم الحنفي، ومعه: تكملة البحر الرائق للعلامة الطوري القادري، وبهامشه: منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٣٤هـ، ١٩١٦م.

٥. البداية والنهاية، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

٦. التاج والإكليل لمختصر خليل، للعلامة مُحَمَّد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري المَوَّاق المالكي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٧. تحفة الحبيب على شرح الخطيب، للعلامة سليمان بن مُحَمَّد بن عمر البجيرمي المصري الأزهري الشافعي، باشر تجريد وترتيب هذه الحاشية: الشيخ عثمان بن سليمان السويفي الشافعي من تلامذة المؤلف، ومعه: شرح الخطيب الشربيني المسمى "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع"، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٨. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٩. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للحافظ جمال الدين أبي مُحَمَّد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٠. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لزكي الدين أبي مُحَمَّد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
١١. التنمية المستدامة وعلاقتها بفقه المصالح، د.مُحَمَّد صلاح حلمي سعد، حولية كلية الدراسات الإسلامية بنين، أسوان، العدد الثاني، ربيع الأول، ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م.
١٢. التنمية المستدامة: استغلال الموارد الطبيعية والطاقة المتجددة، لحمزة الجبالي، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عَمَّان، ٢٠١٦م.
١٣. التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٤. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٥. حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم، منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، ٢٠١٩م.
١٦. دراسات في التنمية الاقتصادية، د.عبد اللطيف مصطفى ود.عبد الرحمان سانية، مكتبة الحسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٤م.
١٧. دور الأحزاب السياسية في التنمية السياسية المحلية: دراسة حالة أحزاب التحالف الرئاسي في ولاية معسكر، د. عبد الفتاح كمال، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م.
١٨. الدور الجغرافي في تحقق التنمية المستدامة، د.حسن عليوي ناصر الزيادي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد (١٢)، حزيران ٢٠١٣م.

١٩. دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، صالح درويش الكاشف، مداخلة نشرت في كتاب أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر لمركز جيل البحث العلمي حول أليات حماية البيئة، الذي نظم في طرابلس لبنان يومي ٢٦ و٢٧ ديسمبر ٢٠١٧م.
٢٠. السلم والأمن الدوليين: دراسة على ضوء أحكام ميثاق الأمم المتحدة، لحاج مُحَمَّد صالح شعبان صوفيان، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد (١١)، العدد (١)، ٢٠١٨م.
٢١. السنن الصغرى «المجتبى»، للحافظ عبد الرحمن بن شعيب النسائي، ومعها: شرح السيوطي وحاشية السندي، ترقيم: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٢٢. السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي، ومعه: الجوهر النقي للتركماني، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٢٣. السنن، للإمام أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٢٤. السنن، للحافظ أبي الحسن علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
٢٥. السنن، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م.
٢٦. السنن، للحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق وترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٢٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٢٨. شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٢٩. الطبقات الكبرى، للإمام مُحَمَّد بن سعد كاتب الواقدي البصري البغدادي، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.
٣٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للشيخ أبي الطيب مُحَمَّد شمس الحق العظيم آبادي، بهامشه: شرح ابن القيم على سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٣١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، إشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م.
٣٢. فهم التغيرات المناخية: دليل المبتدئين لاتفاقية المتحدة الأمم الإطارية لتغير المناخ وبروتوكول كيوتو- وزارة شئون البيئة المصرية، ٢٠٠٧م.
٣٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.
٣٤. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٥. الكسب، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن الحسن بن فرقد الشيباني الحنفي، تحقيق : د.سهيل زكار، دار عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ.
٣٦. لسان العرب، للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٣٧. المراسيل، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٨. المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، للحافظ الضياء المقدسي ، دراسة وتحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٩. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

٤٠. المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٤١. المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني اللخمي الشامي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد وآخرين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٤٢. المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الجمهورية العراقية، مطابع الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٣. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للحافظ العراقي، مطبوع بهامش: إحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٤٤. مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، د.عز الدين بن زغيبة، قدم له وراجعه: د.نور الدين صغيري، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤٥. منار السبيل في شرح الدليل، للشيخ إبراهيم بن مُحَمَّد بن سالم بن ضويان الحنبلي، تحقيق: سهيل الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٤٦. المهذب في اختصار السنن الكبير، اختصره: الإمام شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤٧. الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي، شرحه وخرج أحاديثه: الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٤٨. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، قدَّمه وقرَّظه: د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

ثانيا: المواقع الإلكترونية:

٤٩. اتخاذ إجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره، الهدف (١٣)، الجمعية العامة للأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة:

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar

٥٠. الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقائع الأمم المتحدة، الهدف (٩): إقامة بُنى تحتية قادرة على الصمود، وتحفيز التصنيع الشامل للجميع، وتشجيع الابتكار. مقال: غريت فاريمو، المديرة التنفيذية لمكتب الأمم المتحدة لخدمات المشاريع: مستقبل مستدام للبنى التحتية:

https://www. un. org

٥١. الرؤية الإسلامية للتنمية المستدامة، سلسلة: التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي، الحلقة الثالثة، موقع الجمعية الشرعية الرئيسية:

https://www.alshareyah.com

٥٢. الرؤية الإسلامية للتنمية بإيجاز، سلسلة: التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي، الحلقة السادسة، موقع الجمعية الشرعية الرئيسية:

https://www.alshareyah.com

٥٣. اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية لعام ١٩٨٧م، الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

٥٤. الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

٥٥. الهدف (٩)، إقامة هياكل أساسية قادرة على الصمود، وتحفيز التصنيع الشامل للجميع، وتشجيع الابتكار، الجمعية العامة للأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة:

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar

٥٦. الهدف (١٣)، اتخاذ إجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره، الجمعية العامة للأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة:

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar

٥٧. الهدف (١٥)، حماية النُظم الإيكولوجية البرّية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، وإدارة الغابات على نحو مستدام، ومكافحة التصحّر، ووقف تدهور الأراضي وعكس مساره، ووقف فِقْدان التنوع البيولوجي، الجمعية العامة للأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة:

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar

٥٨. الهدف (١٦) التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يُهمَّش فيها أحد من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعَّالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات، للكاتبتَيْن: لاري أتري وأنا مولر-لوسويك، موقع منظمة الأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

٥٩. تاريخ الحسبة وتطبيقاتها (٣)، د.شوقي علام مفتي الديار المصرية، بوابة جريدة الأهرام:

https://gate.ahram.org.eg

٦٠. تأصيل التعاون الإنساني: الشراكة في العمل الإنساني من منظور الشريعة الإسلامية: دراسة شرعية تأصيلية، بقلم: أ.د.علي محيي الدين القره داغي، بتاريخ: ٥/ ٩/ ٢٠١٦م:

https://www.iumsonline.org/ar

٦١. خطة عام ٢٠٣٠م، خفض جميع أشكال العنف، الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

٦٢.دليل حقوق الإنسان لأهداف التنمية المستدامة، المعهد الدنماركي لحقوق الإنسان: الأهداف، المقاصد والمؤشرات:

https://sdg.humanrights.dk/ar

٦٣.صون السلم والأمن الدوليين، منظمة الأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar

٦٤.في ضرورة التكامل الحضاري، د.أحمد زايد، جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٧م:

https://gate.ahram.org.eg